تأليف

عبيدة صبطي نجيب بخوش

مدخل إلى السيميولوجيا



تأليف

عبيدة صبطي - نجيب بخـوش

مدخل

إلى السيميولوجيا



- **عنوان الكتاب:**

مدخل إلى السيميولوجيا

- **المؤلف** : عبيدة صبطي
بخوش نجيب

- **قياس الصفحة** : 24/16 سم
- **عدد الصفحات** : 120 صفحة
- **الإيداع القانوني** : 2517 /2009
- **ردمك:** 6- 376 - 52- 9961- 978

دار الخلدونية للنشر والتوزيع

05، شارع محمد مسعودي

القبة القديمة - الجزائر.

هـ/فـ : 021.68.86.48

هـ :021.68.86.49

إهداء

إلى الجزائر...

لمسة وفاء

لا يسعنا إلا أن نتوجه بآيات الشكر والتقدير المتزايد:

إلى من أمدَّنا بطاقة لا حدود لها وتغمدنا بأستار رحمته وفيوضات توفيقه الذي نجده حين تشح الأفكار وتكثر السبل، وليّ نعمتنا ومعيننا الله **سبحانه وتعالى**.

وإلى الأستاذ الفاضل والسيميولوجي **بوزيد رملي** على لطف عنايته وسديد توجيهاته .

مقدمة

السِّيمْيولُوجِيَا والسِّيمْيوطِيقَا والسِّيمْياء تسميات لعلم يُعنى بدراسة العلامات اللسانية، وغير اللسانية: اللسانية لأن اللغة نفسها بلغت درجة عالية من الرقي، ولأنها تتمتع بمكانة لا تضاهى في حياة الناس، ولهذا كثيراً ما اتُّخِذت علوم اللغة نموذجا لدراسة باقي العلامات غير اللسانية.

وإذا كان الأنگلوسكسونيون يعتبرون السيميولوجيا(السيميوطيقا) إنتاجا أمريكيا خالصا مع "تشارلز ساندرس بيرس (Peirce) في كتابه" كتابات حول العلامة"، فإن الأوربيين يعتبرونها إنتاجا فرنسيا مع" فرديناند دي سوسير" في كتابه " محاضرات في علم اللسانيات" سنة (1916) ، وإذا كانت السيميولوجيا الأمريكية مبنية على المنطق وفلسفة الأشكال الرمزية (الأنطولوجيا الوجودية والرياضيات)، فإن السيميولوجيا الفرنسية مبنية على الدرس اللغوي واللسانيات.

فالسيميولوجيا باعتبارها علما للأنظمة اللسانية وغير اللسانية قسمان: سيميولوجيا تهدف إلى الإبلاغ والتواصل من خلال ربط الدليل بالمدلول والوظيفة القصدية، أما سيميولوجيا الدلالة فتربط الدليل بالمدلول أو المعنى، وبعبارة أخرى إن سيميولوجيا الدلالة ثنائية العناصر(ترتكز العلامة على دليل ومدلول أو دلالة)، بينما سيميولوجيا التواصل ثلاثية العناصر(تنبني العلامة على دليل ومدلول ووظيفة قصدية).

وإيمانا منا بضرورة خدمة مسيرة البحث العلمي وترك أثر في الحياة قمنا بانجاز هاته الدراسة، التي ارتكزت على أربع فصول حيث قدمنا في الفصل الأول والمعنون "**بماهية السيميولوجيا**" وذلك من خلال التطرق إلى الخلفية التاريخية للسيميولوجيا مع تقديم تعريف دقيق لها وكذا توضيح موضوعها وذكر أهم مدارسها واتجاهاتها.

في حين تناولنا في الفصل الثاني **ثنائيات "فردناند دي سوسير(F. Saussure de.** ثنائية: لسان/ كلام، ثنائية: دال/ مدلول، ثنائية:آني/ تطوري، ثنائية: التركيبي/ الاستبدالي.

في حين خصصنا في المبحث الثاني **للمبادئ البنيوية عند "فردناند دي سوسير"** وذلك من خلال التطرق لنشأة البنيوية وكذا مفهومها، وتجلياتها عند "**فردناند دو** سوسير(F. de Saussure).

ويجيء الفصل الثالث لنتعرف على **مفهوم السيميوطيقا** وأهم **مجالاتها** وعلى **خصائص العلامة** وتصنيفاتها عند "بيرس Peirce".

بينما حاولنا في الفصل الرابع **بتصنيف مختلف العلامات**، في ضوء التصنيفات الثلاثة: التصنيف التقليدي للعلامات، التصنيف الفرنسي للعلامات، التصنيف الأمريكي للعلامات.

الـفـصـل الأول

ماهية السيميولوجيا

1.الخلفية التاريخية للسيميولوجيـا

2. مفهوم السيميولوجيا وموضوعها

3. المدارس والاتجاهات السيميولوجية

تمهيد

عرفت اللسانيات المعاصرة مجموعة من المناهج النقدية بفضل الترجمة والاحتكاك بالثقافة الغربية، ومن بينها المنهج السيميولوجي الذي أصبح منهجا وتصورا ونظرية و"**علما**" لا يمكن الاستغناء عنه لما أظهر عند الكثير من الدارسين والباحثين من نجاعة تحليليه وكفاءته في شتى التخصصات وخاصة في ميدان الاتصال.

إذن فما هي الخلفية التاريخية للسيميولوجيا؟ وما المقصود بها؟ وما موضوعها؟ وما هي أهم مدارسها واتجاهاتها؟

1.الخلفية التاريخية للسيميولوجيا

يعود تاريخ السيميولوجيا إلى 2000 سنة مضت كما يقول "أمبرطو إيكو[*] (مؤلف رواية اسم الوردة) وهو يتكلم عن السيميولوجيا ومنه فعلم السيميولوجيا ليس علما وليد العصر الحديث كما يزعم بعضهم، وفي مقدمتهم الغرب، حيث استعمل في الأصل للدلالة على علم في الطب وموضوعه دراسة العلامة الدالة على المرض، ولا سيما في التراث الإغريقي حيث عدت السيميوطيقا جزءا لا يتجزأ من الطب(**ميشال أريفيه وآخرون: 2002،ص.21**).

وقد وظف أفلاطون لفظ(Sémiotique) للدلالة على فن الإقناع وهذا ما أورده في كتابه وأكد أن للأشياء جوهرا ثابتا وأن الكلمة أداة للتوصيل، وبذلك يكون بين الكلمة ومعناها تلاءم طبيعي بين الدال والمدلول، كما اهتم أرسطو هو الآخر بنظرية المعنى وظل عملهما في هذا المجال مرتبطا أشد ما يكون بالمنطق

---

[*] يرى إيكو أيضا أن الرواقيين هم أصلا من العمال الأجانب في أثينا وبالتالي فهم دخلاء عليها، فأصلهم الحقيقي يعود إلى الكنعانيين الفينيقيين القادمين من أرض كنعان(**ميشال أريفيه وآخرون: 2002،ص.21**).

الصوري، ثم توالت اهتمامات الرواقيين الذين أسسـوا لفكر سيميولوجي يقـوم على التمييـز بين الدال وو المدلول(**http://www.arabicnadwah.com**).

وهؤلاء حسب إيكو اكتشفوا أن الاختلاف في أصوات اللغات وحروفها، أي شكلها الخارجي الذي يدعى بالدال ولكن هذه الاختلافات الشكلية الظاهرية بين اللغات البشرية، توجد بين مرئيات ومدلولات متماثلة تقريبا، ويصل امبريطو إيكو إلى أن هؤلاء الرواقيين(أي الذين لا يتكلمون اليونانية كلغة أم) قد سبقوا دي سوسير" في اكتشافات الفرق بين الدال والمدلول، فهولاء الدخلاء كانوا يمتلكون تجربة لا يمتلكها اليونانيون، أي تجربة الازدواج الثقافي والحضاري واللغوي من خلال ثلاث لغات: الكنعانية، والأمازيغية واليونانية(**ميشال آريفيه وآخرون: 2002، ص.22**).

أما **المرحلة الثانية** فهي مرحلة القديس الجزائري –أوغسطين- حسب إيكو- فهو أول من طرح سؤال: ماذا يعني أن نفسر ونؤول؟ وهكذا راح يشكل نظرية التأويل النصي (تأويل النصوص المقدسة) ، وبهذا تصبح أهمية مساهمته تكمن في تأكيده على إطار الاتصال والتواصل عند معالجته لموضوع العلامة (**ميشال آريفيه وآخرون: 2002، ص.23**).

أما **المرحلة الثالثة** فهي مرحلة العصور الوسطى، وكانت فترة مهمة من فترات التركيز على العلامات واللغة ، ويمكن ذكر اسم ابيلار واسم روجر بيكون.

وإذا حاولنا استقراء تراثنا العربي، وجدناه حافلا بالدراسات المنصبة على دراسة الأنساق الدالة، وكشف قوانينها أو ما أسموه بعلم "أسرار الحروف" أي علم "السيمياء" ولاسيما تلك المجهودات القيمة التي بذلها مفكرونا من مناطقة وبلاغيين وفلاسفة وأصوليين...الخ أمثال (جابر بن حيان والحاتمي وابن سينا والفارابي والغزالي وابن خلدون والجرجاني والقرطاجي.......... وغيرهم) .(**http://www.merbad.net**)

بيد أن مثل هذه الآراء السيميولوجية التي شملتها كل هذه المجالات المعرفية لم تكن منهجية أو مؤسسة على أسس متينة ، ولم تحاول يوما أن تؤسس نظرية متماسكة تؤطرها أو تحدد موضوع دراستها أو اختيار الأدوات والمصطلحات الإجرائية الدقيقة التي تقوم عليها.

وبالتالي لم تفكر في استقلالية هذا العلم، بل ظلت هذه الآراء السيميولوجية مضطربة تجرفها وتتقاذفها التصورات الإيديولوجية والسوسيولوجية والثقافية، ويقول مبارك حنون في هذا الصدد :" إلا أن مثل تلك الآراء السيميولوجية التي احتضنتها مجالات معرفية عديدة، بقيت معزولة عن بعضها البعض، ومفتقدة لبنية نظرية تؤطرها كلها (**مبارك حنون: 1988، ص. 8**).

ثم جاءت **المرحلة الرابعة**، حيث نشطت فيها نظرية العلامات مع المفكرين الألمان والإنجليز في القرن السابع عشر(**ميشال أريفيه وآخرون: 2002، ص.23**)،فمع بداية النهضة الأوروبية نصادف الفيلسوف "ليبنتز Leibnitz " الذي حاول أن يبحث عن نحو كلي للدلائل، وعن ضرورة وجود لغة رياضية شكلية تنطبق على كل طريقة في التفكير"(**أنور المرتجي:1987، ص. 3**).

أما **المرحلة الخامسة** والتي يتفق جل الباحثين على أنها المرحلة الحاسمة في التحديد العلمي للسيميولوجيا، وهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنموذج اللساني البنيوي الذي أرسى دعائمه وأسسه العالم السويسري " فرديناند دي سوسير(**Ferdinand de Saussure**)" في فرنسا في كتابه" محاضرات في اللسانيات العامة" وذلك منذ القطيعة الإبيستمولوجية التي أحدثها في ميدان الدراسات اللسانية إن جاز التعبير مع فقه اللغة واللسانيات التاريخية،وقد جعلت هذه القطيعة اللسانيات العلم الشامل والرائد الذي تستفيد منه مختلف المدارس والمشارب المعرفية كالنقد الأدبي والأسلوبية والتحليل النفسي وعلم الاجتماع بالإضافة إلى جهود الوظيفيين في اللسانيات والشكلانيين الروس في الشعرية.

كما ارتبط هذا العلم من جهة أخرى بالمنطق على يد الفيلسوف الأمريكي" بيرس(**Ch. Peirce**)" في أمريكا، لكن على الرغم من ظهورهما في مرحلة زمنية

متقاربة، فإن بحث كل منهما استقل وانفصل عن الآخر انفصالا تاما إلى حد ما، فالأول بشر في "محاضراته"بـ ظهور علم جديد سماه السيميولوجيا(Sémiologie) سيهتم بدراسة الدلائل أو العلامات في قلب الحياة الاجتماعية ولن يعدو أن يكون موضوعه الرئيس مجموعة الأنساق القائمة على اعتباطية الدلالة على حد تعبير "دي سوسير(F.de Saussure)" الذي يقول كذلك في هذا الصدد:" ونستطيع إذا- أن نتصوّر علما يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، علما قد يشكل فرعا من علم النفس الاجتماعي وبالتالي فرعا من علم النفس العام، وسوف نسمي هذا العلم بالسيميولوجيا، ومن شأن هذا العلم أن يطلعنا على كافة هذه العلامات وعلى القوانين التي تحكمها...وإن اللسانيات ليست سوى فرع من هذا العلم العام..."(**مارسيلو داسكال:1987، ص.15**).

وقد تزامن هذا التبشير مع مجهودات" تشارلز ساندرس بيرس(**Charles Sanders Peirce**) (1839-1914) " الذي نحا منحى فلسفيا منطقيا رياضيا، وأطلق على هذا العلم الذي كان يهتم به بـ"السيميوطيقا" (Sémiotique) واعتقد تبعا لهذا أن النشاط الإنساني نشاط سيميولوجي في مختلف مظاهره وتجلياته، ويعد هذا العلم في نظره إطارا مرجعيا يشمل كل الدراسات، يقول وهو بصدد تحديد المجال السيميولوجي العام الذي يتبناه : " إنه لم يكن باستطاعتي يوما ما دراسة أي شيء- رياضيات كان أم أخلاقا أو ميتافيزيقا أو جاذبية أو ديناميكا حرارية أو بصريات أو كيمياء أو تشريحا مقارنا أو فلكا أو علم نفس أو علم صوت، أو اقتصاد أو تاريخ ..دون أن تكون هذه الدراسة سيميولوجية"(**Todorov :1972 ;p.11**).

إذن، فالسيميوطيقا حسب "بيرس (Ch.S . Peirce) " مذهب الطبيعة الجوهرية والتنوعات الأساسية للدلالة الممكنة " (**رولان بارت:1986 ،ص.20**)، بمعنى نظرية عامة للعلامات وتمفصلاتها في الفكر الإنساني، ثم إنها صفة لنظرية عامة للعلامات والأنساق الدلالية في كافة أشكالها... وبالتالي، تعد سيميولوجيا "بيرس (Ch.S . Peirce)" مطابقة لعلم المنطق، ويضيف "أمبرطو إيكو Umberto Eco" في هذا الخصوص عن "بيرس" محددا مضمون علمه بكل دقة ووضوح وعلاقته بعلم المنطق:"

لنستمع الآن إلى بيرس وهو يقول: "إنني حسب علمي الرائد أو بالأحرى أول من ارتاد هذا الموضوع المتمثل في تفسير وكشف ما سميته السيميوطيقا (Sémiotique) أي نظرية الطبيعة الجوهرية لأي سيرورة دلالية ، إن هذه السيميوطيقا التي يطلق عليها في موضع آخر" المنطق" تعرض نفسها كنظرية للعلامات **(إدريس بلمليح: 1984، ص.111).**

وبناءا على هذا نجد أن للسيميولوجيا أو السيميوطيقا تفاعلات كثيرة مع معارف وحقول أخرى داخل المنظومة الفكرية والعلمية والمنهجية، فلقد ارتبط هذا العلم في نشأته بالفلسفة واللسانيات وعلم النفس والاجتماع والمنطق والظاهراتية (الفينومينولوجيا) علاوة على ارتباطها بدراسة الأنثروبولوجيا كتحليل الأساطير والأنساق الثقافية غير اللفظية ، كما ترتبط منهجيا بدراسة الأدب(الشعرية والنحو والبلاغة) والفنون اللفظية والبصرية كالموسيقى والفنون التشكيلية والمسرح والسينما ...الخ

أما عن ظهور السيميولوجيا في العالم العربي فقد ظهرت عن طريق الترجمة والمثاقفة والاطلاع على الإنتاجات المنشورة في أوربا والتلمذة على أساتذة السيميولوجيا في جامعات الغرب وقد بدأت السيميولوجيا في دول المغرب العربي أولا، وبعض الأقطار العربية الأخرى ثانيا، عبر محاضرات الأساتذة منذ الثمانينيات عن طريق نشر كتب ودراسات ومقالات تعريفية بالسيميولوجيا(مبارك حنون، محمد السرغيني، سمير المرزوقي، جميل شاكر، عواد علي، صلاح فضل، جميل حمداوي، فريال جبوري غزول، محمود ابراقن، قدور عبد الله ثاني...الخ)، أو عن طريق الترجمة (محمد البكري- أنطوان أبي زيد- عبد الرحمن بوعلي- سعيد بنكراد...الخ)، وإنجاز أعمال تطبيقية في شكل كتب(محمد مفتاح، سعيد بنكراد- محمد السرغيني- سامي سويدان...الخ)، أو مقالات (انظر مجلة علامات ودراسات أدبية لسانية سيميولوجية بالمغرب ومجلة عالم الفكر الكويتية وعلامات في النقد السعودية ومجلة فصول المصرية- ...)، أو ملتقيات علمية في مختلف الجامعات العربية .

2.مفهوم السيميولوجيا

لقد تناول الباحثون المختصون مفهوم السيميولوجيا حسب نظريات متفقة أو مختلفة، وحسب مجالات متنوعة، كما تناولوا كل مكوناتها وعناصرها وقد كتبت مقالات في هذا الشأن، وألفت كتب وعقدت ندوات، بيد أن القارئ المبتدئ أو العادي الذي قد يكون في عجلة يخرج مضبب الرؤى لا تتضح أمامه مظاهر الاشتراك والافتراق بين تلك النظريات والمجالات، وخاصة الطالب العربي يواجه الكثير من الصعوبات، حينما يدرس السيميولوجيا ويحاول أن يستوعبها ويتمثلها ليجتهد فيها، والتي تتجلى بالأساس في تداخل المصطلحات وتشعبها واختلاف مضامينها.

لذلك سوف نقتصر في هذا الصدد على تحليل المصطلحين الرئيسين المستعملين في هذا الحقل المعرفي وهما: السيميولوجيا (sémiologie) والسيميوطيقا (Sémiotique) معترفين أننا مهما حاولنا إيجاد محاولة لتعريف هذين المصطلحين لانستطيع أن نستقر على تعريف دقيق ومحدد، لأنّ أية محاولة للتعريف، لابد لها أن تصطدم بتعدد وجهات النظر في تحديد هوية هذا الحقل المعرفي تحديدا دقيقا **(عبد الرحيم جيران: 1988، ص.7)**.

1.2. التعريف اللغوي للسيميولوجيا

إن كلمة سيميولوجيا (Sémiologie) من الأصل اليوناني (Sémion) أو (Sémaino) والمتولدة هي الأخرى من الكلمة (Séma) وتعني **العلامة (الدليل)** (signe) وهي بالأساس الصفة المنسوبة إلى الكلمة الأصل(Sens) أي **المعنى**.أما عن لفظة "لوجيا" (logie) فتعني **العلم**، وبالتالي فإن **كلمة السيميولوجيا أو السميوطيقا من الناحية اللغوية تعني علم العلامات (برنار توسان:2000، ص.9)** أو العلم الذي يقوم بتحليل المعاني عن طريق **العلامات (Bignell, 1997:p.1)**.

2.2. التعريف الاصطلاحي السيميولوجيا

إن السيميولوجيا أو السميوطيقا أو السيمياء، لدى دارسيها تعني "علم دراسة العلامات دراسة منظمة ومنتظمة" **(الرويلي وسعد البازعي:دون سنة، ص. 177)** ، فهي تدرس مسيرة العلامات في كنف الحياة الاجتماعية وقوانينها التي تحكمها "**(برنار توسان:2000،ص.9)** مثل أساليب التحية عند مختلف الشعوب وعادات الأكل والشرب عندهم...الخ.

إلا أن الأوروبيون يفضلون مصطلح **السيميولوجيا** التزاما منهم بالتسمية السوسيرية نسبة إلى دي سوسير، أما الأمريكيون فيفضلون مصطلح السميوطيقا التي جاء بها المفكر والفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرس بيرس (Charles Sanders Peirce)" أما العرب، خاصة أهل المغرب العربي فقد دعوا إلى ترجمـتها بـ" السيمياء" محاولة منهم في تعريـب المصطلح ، وكما يقول معجب الزهراني: إن السيمياء ترتبط بحقل دلالي لغوي – ثقافي يحضر معها فيه كلمات مثل السمة والتسمية، والوسام والوسم والميسم والسيماء، والسيمياء(بالقصر والمد) والتي تعني علم العلامة**(الرويلي وسعد البازعي:دون سنة:ص ص. 177-178).**

ويتضح مما سبق أن لفظ السيمياء قد ورد في القرآن الكريم ست مرات، وذلك في قوله ﷻ ﴿**تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا**﴾ [سورة البقرة:الآية،76]، وقوله كذلك ﷻ ﴿ **وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم**﴾ [سورة الأعراف:الآية،46] وقوله ﴿**ونادى أصحاب الأعراف رجال يعرفونهم بسيماهم**﴾ [سورة الأعراف:الآية،48]، ﴿**ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم**﴾[سورة محمد:الآية،30]، وقوله تعالى ﴿**سيماهم في وجوههم من أثر السجود**﴾[سورة الفتح:الآية،29]،وقوله ﷻ ﴿ **يعرف المجرمون بسيماهم**﴾ [سورة الرحمان:الآية،41].

ويحسن بنا في هذا السياق، أن نستحضر بعض من تعاريف باقي الباحثين بإيجاز كي يتسنى لنا التمييز بين مصطلحي السيميولوجيا والسيميوطيقا، وهل يؤثر تغيير شكل المصطلحين على تغيير مضمونهما؟

فهذا "بيير غيرو Pierre Guiraud" أحد أساتذة جامعة نيس الفرنسية- يعرف السيميوطيقا قائلا:" السيميوطيقا علم يهتم بدراسة أنظمة العلامات ، اللغات، أنظمة الإشارات، التعليمات...الخ. وهذا التحديد يجعل اللغة جزءا من السيميوطيقا" (بيير غيرو: 1984 : ص. 5) .

يتبين لنا من خلال هذا التعريف السابق، أن "غيرو(P. Guiraud) " يتبنى نفس الطرح "السوسيري" الذي يعتبر اللسانيات فرعا من السيميولوجيا، غير أن"رولان بارت (Roland Barthes)" سيفند هذا الطرح ويقلب المعادلة على عقبها، بتأكيده على أن السيميولوجيا لايمكن أن تكون سوى نسخة من المعرفة اللسانية. فإذا كان دي سوسير قد ضيق الدرس السيميولوجي ووجه كل اهتماماته للغة، وجعلها الأصل محل الصدارة، فإن مفهوم "بارت(R.Barthes) " للسيميولوجيا فسح المجال بحيث اتسع حتى استوعب دراسة الأساطير واهتم بأنسقة من العلامـات التي أسقطـت من سيميولـوجيا "فردناند دي سوسير(Ferdinand de Saussure)" كاللباس وأطباق الأكل والديكورات المنزلية، والأطعمة والأشربة وكل الخطابات التي تحمل انطباعات رمزية ودلالية، أما "جورج مونان (George Mounin)" فيعني بالسيميولوجيا:"دراسة جميع السلوكات أو الأنظمة التواصلية " (George Mounin :P.133).

أما "أمبرطو إيكو (Umberto Eco) "فقد استبدل مصطلح السيميولوجيا (Sémiologie) بمصطلح السميوطيقا (Sémiotique) فيقول في مستهل كتابه: البنية الغائبة (La structure Absente) معرفا هذا العلم" السيميوطيقا تعني علم العلامات"(http://www.arabicnadwah.com).

أما بالنسبة لمدرسة باريس التي تضم كلا من "غريماس(Greimas) "(*) و"كوكيه (Coquet)" و"أريفي (Arrivé)" الخ...فلها تعريف مغاير للتعاريف السالفة الذكر

(*) لقد كان غريماس في بداية الستينات الوريث الحقيقي لهيالمسلف ودي سوسير في دراسة الدلالات، فانه اقبل على نظرية اللغة متبعا في ذلك مسارا شخصيا، في (1933) على وجه =

فهي في مشروعها" تأسيس نظرية عامة لأنظمة الدلالة"
(http://www.arabicnadwah.com).

ويتبين لنا من خلال هذه التعاريف أن السيميولوجيا والسيميوطيقا متقاربتان في المعنى، فالسيميولوجيا –إذا– مرادفة للسيميوطيقا، وموضوعها دراسة أنظمة العلامات أيا كان مصدرها لغويا أو سننيا كما تدرس أنظمة العلامات غير اللسانية، فلم تعد ثمة أسباب أو مبررات تجعل أحد المصطلحين يحظى بالسيادة دون الآخر.

وإن كانت هناك أسباب تميز بعضهما، فهي في الواقع أسباب بسيطة تعتمد النزعة الإقليمية على حد تعبير"ترنس هوكز" الذي يقول في هذا الخصوص: " ومن غيـر اليسير التمييـز بينهما، وتستعمل كلتا اللفظتين للإشارة إلى هذا العلم(يعني به علم العلامات) والفرق الوحيد بين هاتين اللفظتين أن السيميولوجيا مفضلة عند الأوربيين تقديرا لصياغة "دي سوسير" لهذه اللفظة، بينما يبدو أن الناطقين بالإنجليزية يميلون إلى تفضيل السيميوطيقا احتراما للعالم الأمريكي "بيرس (**Ch.S . Peirce**) "، لكن الصيغة الثانية السيميوطيقا كتسمية لمجال هذا العلم هي التي أُقرَّت أخيرًا (**ترنس هوكز:1996، ص.114**)، وأُخذَ بها من قبل " المجمع الدولي لعلم السيميوطيقا" المنعقد بباريس في شهر جانفي سنة (1909) .

كما يقول "أمبرطو إيكو(Umberto Eco)" في هذا الصدد:" لقد قررنا على كل حال أن نتبنى هنا بصفة نهائية مصطلح السيميوطيقا (Sémiotique) بدون أن نتوقف عند المناقشات حول التوريطات الفلسفية أو المنهجية لكلا المصطلحين،

= التقريب، لم يكن هناك شيء يوحي بان هذا الليتواني الصغير الذي يبلغ من العمر 16 سنة، سيتوجه إلى دراسة اللسانيات الفرنسية، وهو الذي تعلم لوحده اللسان الألماني حتى يستطع قراءة نيتشه، في حين نجد نزوع غريماس إلى البحث السيميولوجي تولد، في الظاهر على الأقل، عن سلسلة من المصادفات سببتها حوادث التاريخ في هذه المنطقة من العالم في نهاية الثلاثينيات (**أن إينو :2004، ص 104**).

نحن نخضع بكل بساطة للقرار المتخذ في جانفي سنة (1969) بباريس من لدن الهيئة الدولية التي انبثقت عنها الجمعية الدولية للسيميوطيقا والتي قبلت (بدون أن تقصي استعمال السيميولوجيا) مصطلح السيميوطيقا على أنه هو الذي ينبغي ابتداءً من الآن أن يغطي جميع المفاهيم الممكنة للمصطلحين المتنافس فيهما(**http://www.arabicnadwah.com**).

ولكن رغم هذا حدد "غريماس" الفرق بين المصطلحين في اللغة الفرنسية بأن جعل السيميوطيقا تحيل إلى الفروع أي دراسة أنظمة العلامات المختلفة مثل سيميوطيقا الصورة الثابتة، سيميوطيقا المسرح، سيموطيقا الصورة الإشهارية، سيميوطيقا العمران، سيميوطيقا الكاريكاتير...الخ، أما السيميولوجيا فهي **هيكل نظري** لعلم العلامات بصفة عامة دون تخصص لهذا النظام أو ذاك(**قدور عبد الله ثاني:2004 ،ص.98**).

وبالتالي فالهدف من دراسة السيميولوجيـا هو دراسة المعنى الظاهر والخفي لكل نظام علاماتي فهي تدرس لغة الإنسان اللفظية وغير اللفظية وما يحيط به باعتبارها نسق من العلامات مثل: العلامات التجارية وإشارات المرور والخرائط والصور الفوتوغرافية...الخ.

3.2 موضوع السيميولوجيا

يضيف " كوكيه (**J.C.Coquet**)" أحد أقطاب مدرسة باريس السيميولوجية قائلا:" إن القارئ العادي، وكذلك الباحث في مجال العلوم الاجتماعية من حقهما أن يتساءلا عن موضوع هذا العلم، إلا أنهما مع ذلك يجب أن يعلما أن التعريفات والتحديدات، تختلف ولاسيما إذا تعلق الأمر بموضوع علمي لم يمر على ميلاده وقت طويل(**J.C.Coquet et autres ; 1982;p.5**).

ووضحت "جوليا كرستيفا" موضوع السيميولوجيا في قولها:" إن دراسة الأنظمة الشفوية وغير الشفوية ومن ضمنها اللغات بما هي أنظمة أو علامات

تتمفصل داخل تركيب الاختلافات، إن هذا هو ما يشكل موضوع علم السيميوطيقا(**عصام خلف كامل:2003، ص.26**).

وعلى الرغم من المكانة التي تبوّأتها السيميولوجيا، فإنها لا تنفرد بموضوع خاص بها، فهي تهتم بكل ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية العادية شريطة أن تكون هذه الموضوعات جزءا من سيرورة دلالية.

فالموضوعات المعزولة، الموجودة خارج مدار نسيج السيميوز، لا يمكن أن تشكل منطلقا لفهم الذات الإنسانية أو قول شيء عنها، ذلك أننا لا يمكن أن نتحدث عن سلوك سيميولوجي إلا إذا نظرنا إلى الفعل خارج تجليه المباشر، فما يصدر عن الإنسان لا ينظر إليه في حرفيته، بل يدرك باعتباره حالة إنسانية مندرجة ضمن تسنين ثقافي هو حصيلة لوجود مجتمع، ووجود المجتمع ذاته رهين بوجود العلامات، فبفضلها استطاع الإنسان أن يتخلص من الإدراك الخام، وأن يتخلص من التجربة الصافية، وينفلت من رقبة الزمان والمكان(**Umberto Eco :1984, p 151**).

فكل مظاهر الوجود اليومي للإنسان تشكل موضوعا للسيميولوجيا، فالضحك والبكاء والفرح واللباس وطريقة استقبال الزوار وإشارات المرور والطقوس الاجتماعية والأشياء التي نتداولها فيما بيننا، وكذلك النصوص الأدبية والأعمال الفنية، كلها علامات نستند إليها في التواصل مع محيطنا، فكل لغة من هذه اللغات تحتاج إلى تقعيد، أي تحتاج إلى الكشف عن القواعد التي تحكم طريقتها في إنتاج معانيها، مستندة في ذلك، وفي الكثير من الحالات، إلى ما تقترحه العلوم الأخرى من مفاهيم ورؤى(**سعيد بن كراد:2003، ص ص.18-19**).

واستنادا إلى هذا، فإن الموضوع الرئيس للسيميولوجيا حسب "بيرس" هو السيرورة المؤدية إلى إنتاج الدلالة، أي ما يطلق عليه في الاصطلاح السيميولوجي السميوز (Sémiosis)، والسميوز في التصور الدلالي الغربي هي "**الفعل**" المؤدي إلى عملية إنتاج الدلالات وتداولها، أي سيرورة يشتغل من خلالها شيء ما باعتباره علامة،وبهذا فإن كل واقعة تستند من أجل إنتاج دلالاتها، إلى سيرورة داخلية تجمع بين العناصر المكونة لها (**سعيد بن كراد:2003،ص.171**).

فكل فعل ينتج، لحظة تحققه، سلسلة من القيم الدلالية تستند، في وجودها، إلى العرف الاجتماعي وتواضع الاستعمال، ذلك أن التسنين الثقافي هو وحده الذي يسمح بفهمها واستيعاب أبعادها المختلفة، وهذا الطابع يجد مبرره الأساس في طبيعة الفعل ذاته، فكل فعل هو سيرورة مركبة ولا يمكن أن يكون كلية مكتفية بذاتها (**http://www.megaclick.com/**).

وعليه فأن يكون "السميوز" نسيجا من العلامات، فهذا معناه أن ما يحدد هويتها ليس مادة أصلية وليس عناصر معزولة بل مفهوم العلاقة ذاته، فالدال باعتباره أداة التعرف الأولى ينتج مدلولا وفق علاقة مبنية على ترابط اعتباطي، وهذه العلاقة هي ما يحدد فعل إنتاج المعاني وتداوله، فالوظيفة الأصلية للعلامة هي وظيفة اختلافية منبثقة عن علاقة وليست حصيلة لمادة دالة بذاتها (**http://www.megaclick.com/**).

وعلى هذا الأساس، فإن المعنى ليس محايثا(*) للشيء ولا سابقا عليه، بل هو حصيلة ما تضيفه الممارسة الإنسانية إلى الوجود المادي الذي يميز الأشياء. فالعلامة كما يقول "إيكو" تولد كلما استعمل الإنسان شيئا محل شيء آخر. والدلالة، استنادا إلى ذلك، هي حصيلة العلاقات الممكنة بين الشيء الممثل وأداة التمثيل وما يبرر كل الإحالات الممكنة الرابطة بين العناصر المكونة للسلوك السيميولوجي هو هذه العلاقة بالذات(**فراس السواح:1996،ص.20**).

(*) يعد مفهوم " المحايثة " من المفاهيم التي أشاعتها البنيوية في بداية الستينات، ليصبح بعد ذلك مفهوما مركزيا استنادا إليه يفهم النص وتنجز قراءاته. وأصبح " التحليل المحايث" هو وحده الذي يجيب عن كل الأسئلة ويدرك كل المعاني، والمقصود بالتحليل المحايث أن النص لا ينظر إليه إلا في ذاته مفصولا عن أي شيء يوجد خارجه. والمحايثة بهذا المعنى هي عزل النص والتخلص من كل السياقات المحيطة به فالمعنى ينتجه نص مستقل بذاته ويمتلك دلالاته في انفصال عن أي شيء آخر (**سعيد بن كراد:2003،ص.165**).

وعليه فمن خلال تمعن التعريفات التي قدمت للسيميولوجيا يتضح أنها جميعها تتضمن مصطلح **العلامة**، ويعني هذا أن السيميولوجيا هي علم العلامات ومن الصعب إيجاد تعريف دقيق للعلامة لاختلاف مدلولها من باحث لآخر، فعند" دي سوسير(F. de Saussure) " تتكون العلامة من الدال والمدلول أي بالصورة الصوتية وهي الدال والصورة الذهنية المعنوية وهي المدلول،كما اعتبر السيميولوجيا علما للعلامات التي تدرس في حضن المجتمع. وهذا يؤكد لنا ارتكاز العلامة على ماهو لغوي ونفسي واجتماعي، وتبدو العلامة في تعاريف السيميولوجيين كيانا واسعا ومفهوما قاعديا وأساسيا في جميع علوم اللغة.

في حين نجد أن التراث الفكري العربي بشموليته الحضارية عبارة عن نظام من العلامات الدالة والتي إذا ما أوغلنا التأمل فيها وجدنا أن هذا التراث الواسع يتجلى فيمايلي(**قدور عبد الله ثاني:2004، ص ص. 52-53**):

1 - الموروث اللساني: ويتمثل في

- الموروث النحوي
- الموروث اللغوي
- الموروث المعجمي

2- الموروث البلاغي: ويتجلى في:

- الجانب التقني للبلاغة بمعاييرها المألوفة
- الجانب النقدي
- الجانب الاعجازي
- الجانب الأدبي (المدونات الأدبية الكبرى)

3- الموروث الديني: وينقسم إلى:

- التفسير
- علم الأصول

4- الموروث الفلسفي

5- الموروث الاجتماعي

أما عن مفهوم العلامة عنـد الدارسين الأقـدمين يتجـاوز مفهوم السمة والأمارة والدليل وكل ذلك يتعلق بالدلالة، وهي في تصورهم "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر" **(علي بن محمد الجرجاني:1991، ص46)**.

يقول "ابن فارس" (395هـ) "دلّ : أصل يدل على إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والدليل الأمارة في الشيء" وفي حديث "ابن هلال العسكري" (400هـ) عن العلامة والدلالة يقول "... يمكن أن يستدل بها أقصد فاعلها ذلك أو لم يقصد والشاهد أن أفعال البهائم تدل على حدثها، وليس لها قصد إلى ذلك ... وآثار اللص تدل عليه وهو لم يقصد ذلك ،وما هو معروف في عرف اللغويين يقولون استدللنا عليه بأثره وليس هو فاعل لأثره قصدًا (**العسكري ابن هلال: 1963، ص. 13**).

وهذه إشارة واعية من ابن هلال إلى إشكالية القصدية في العلامة وهي الإشكالية التي تثير موضوع الجدل بين فريقين: فريق يؤكد الطبيعة التواصلية للعلامة ويمثل هذا الفريق كل من "بريلو" و"مونان" و"مارتيني" في الثقافة اللسانية والسيميولوجية المعاصرة الفرنسية وهم يرون أن العلامة تتكون أساسا من دال ومدلول والقصد.

في حين يركز فريق آخر على الجانب التأويلي للعلامة: أي من حيث قابليتها للتأويل الدلالي بالنسبة للمتلقي، ويمثل هذا الاتجاه "رولان بارت" وهو ما يسمى بـ السيميولوجية الدلالية **(http://www.aljahidhiya.asso.dz)**.

وهو نفس التصور لدى "الراغب الأصفهاني" حيث يقول "المعنى ودلالات الإشارات والرموز والكتابة سواء أكان ذلك بقصد من يجعله دلالة أم لم يكن قصد كمن يرى حركة الإنسان فيدرك أنه حي" **(قدور عبد الله ثاني:2004،ص.56).كما جاء في قوله** ﷻ .ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض.

وعليه قسم عادل "فاخوري العلامات" إلى ثلاثة أنساق :

1. **العلامة اللفظية**:(اللغة- الشعر- الرواية-....) أو غير اللفظية:(الأزياء- الأطعمة والأشربة- الإشهار- علامات المرور- الفنون الحركية والبصرية كالسينما المسرح والتشكيل...). **(عادل فاخوري:1985، ص ص. 13)**.

2. العلامة الوضعية أو الطبيعية أو العقلية، وهذا إذا تم الأخذ بعين الاعتبار طبيعة العلاقة القائمة بين الدال والمدلول.

فالعلامة الوضعية هي العلامة المتعارف عليها في بيئة اجتماعية، بحيث يكون متفق عليها من قبل أفراد المجتمع اللغوي، حيث تندرج ضمن هذا النوع كل العلامات اللفظية **(بلقاسم سلاطنية:2001، ص.60)** مثلما توصف المرأة بالفراشة دلالة على رشاقتها وجمالها.

أما **العلامة الطبيعية** فهي العلامة الناتجة عن أحداث طبيعية، سواء كانت طبيعية اللفظ أو طبيعة الحامل المادي للعلامة فكل العلامات التي تعكس أصوات الطبيعة من خرير المياه وحفيف الأشجار تنسحب ضمن هذا النوع، وكذلك الأصوات الملازمة للانفعالات والتعبيرات الفيزيولوجية كملامح الوجه وتغير لونه من حالة إلى أخرى**(عادل فاخوري:1985، ص. 19)**.

أما **العلامة العقلية** فالمراد بها دلالة الأثر عل المؤثر كدلالة السحاب على المطر والدخان على النار، وهي تنحصر في التراث العربي في علاقة العلية أو السببية أي وجود علاقة ذاتية بين الدال والمدلول **(عادل فاخوري:1985، ص. 19)**.

1. تكون العلامة وضعية لفظية أو اصطلاحية: فهي لا تعدو أن تكون واحدة من ثلاث وهي: المطابقة والتضمن والملازمة، فلفظ البيت مثلا يدل على معنى البيت بطريقة المطابقة، ويدل على السقف بالتضمن لأن البيت يتضمن السقف، أما دلالة الملازمة فهي كدلالة لفظ السقف على الحائط، فهي كالرفيق الملازم الخارج عن ذات السقف الذي لاينفصل عنه **(ماهر مهدي هلال:1980، ص.286)**.

ومن هذا المنظور يعرض "رولان بارت" رؤيته السيميولوجية ممثلا لها بـ"باقة الورد":

فهو يرى أن باقة الورد مجرد"دال" إذا كانت العاطفة هي دلالتها، وهكذا يكون لدينا دال ومدلول، وقد نتج عن اتحادهما معا في " باقة الورد" مصطلح جديد هو العلامة (التي هي نفسها باقة الورد)،فباقة الورد هي علامة نجمت عن دال ومدلول،كما أن باقة الورد بوصفها علامة تختلف كليا عن باقة الورد بوصفها دالا، أي بوصفها وحدة زراعية نباتية، وباقة الورد كدال، شأنها في ذلك شأن الدال اللغوي، مفرغة تماما من الدلالة، لكنها كعلامة ممتلئة تماما بالدلالة.وسبب شحنها بالدلالة لم يأت نتيجة وجودها الطبيعي النباتي، وإنما نتيجة مزيج من القصد البشري وطبيعة المجتمع وصيغ أعرافه وتقاليده وسبل الاتصال.

4.المدارس والاتجاهات السيميولوجية

تتعدد الاتجاهات السيميولوجية ومدارسها في الحقل الفكري الغربي، إلى ثلاث اتجاهات: الاتجاه الأمريكي والاتجاه الفرنسي ، ويقسم محمد السرغيني الاتجاه الفرنسي إلى فروع على النحو التالي(**محمد السرغيني:دون سنة، ص ص:55-66**):

1. سيميولوجيا التواصل والإبلاغ كما عند جورج مونان.
2. سيميولوجيا الدلالة الذي ينقسم بدوره إلى الأشكال التالية:

- اتجاه "بارت وميتز" الذي يحاول تطبيق اللغة على الأنساق غير اللفظية.
- اتجاه مدرسة باريس الذي يضم : ميشيل أريفي وكلود كوكيه وغريماس.
- اتجاه السيميوطيقا المادية مع جوليا كرستيفا.
- اتجاه الأشكال الرمزية مع مولينو(J.molino) وجان جاك ناتيي(J.Natier) أو ما يسمى مدرسة " أيكس (Aix)".

في حين يفضل مبارك حنون التقسيم التالي(**مبارك حنون : 1987 ، ص: 85**) :

سيميولوجيا التواصل، سيميولوجيا الدلالة، وسيميوطيقا "بيرس**(Ch. Peirce)"** ، ورمزية "كاسيرر**(Cassirer)"** و"سيميولوجيا الثقافة" مع الباحثين الروس (يوري

لوتمان وأوسبانسكي وإيفانوف وطوبوروف...) والباحثين الإيطاليين ("أمبرطو إيكو(Eco)" و"روسي لاندي(**Landi)"...)**، ".

ولكن على الرغم من هذه الاتجاهات العديدة يمكن التركيز على ثلاث اتجاهات سيميولوجية هما :سيميولوجيا التواصل وسيميولوجيا الدلالة، سيميولوجيا الثقافة.

1.3 سيميولوجيا التواصل

كان ميلاد سيميولوجيا التواصل مع "أريك بويسنس"، الذي نشر في سنة (1943) اللغات والخطابات محاولة في اللسانيات الوظيفية في إطار السيميولوجيا، ثم أعاد النظر في الكتاب، ونشر من جديد سنة (1967)، تحت عنوان:التواصل والتعبير اللساني، المطبوعات الجامعية ببروكسل(**دليلة مرسلي وآخرون: 1995، ص.15**).

وبهذا سيكون "أريك بويسنس" من أوائل المناصرين للسانيين من أمثال "باريطو" و"جورج مونان"، جان مارتيني، في تحديدهم سيميولوجيا التواصل، وفي وضعهم لمبادئها وأسسها:حيث يمكن أن تعرف باعتبارها دراسة طرق التواصل، أي دراسة الوسائل المستخدمة للتأثير على الغير والمعترف بها بتلك الصفة من قبل الشخص الذي نتوخى التأثير عليه (**دليلة مرسلي وآخرون: 1995، ص.15**).

ففعل التواصل والفعل الذي عن طريقه يقوم شخص ما مدركا لواقعة قابلة للملاحظة ومرتبطة بحالة وعي، بتحقيق هذه الواقعة لكي يفهم شخص آخر الهدف من هذا السلوك ويعيد في وعيه تشكيل ما حصل في وعي الشخص الأول (**علي زغينة: 2002،ص. 265**).

كما أن التواصل لا يقتصر فقط على توصيل الرسائل اللفظية الصريحة أو القصدية؛ فالتواصل كما نتصوره يشمل مجموع العمليات التي يتبادل بها المتخاطبين التأثير. لأن القارئ قد يتعرف بهذا على أن هذا التحديد يقوم على

مسلمة كون كل فعل وكل حدث يوفران مظاهر تواصلية، بمجرد ما يتم إدراكهما من قبل كائن إنساني(**Y.Winkin, 2001, p. 55**).

ولهذا نفهم ملاحظات العالم الأنثروبولوجي الأمريكي "دِيلْ هَايْمَسْ" حينما ذهب إلى أن الأنثروبولوجيا ينبغي لها أن تراعي التحديدات المحلية للتواصل، ففي المجتمعات الحديثة يشير التواصل إلى تبادل المعلومات بين شخصين أو نقل المعلومات عبر وسائل الاتصال، وهذا ما لا نجده في المجتمعات أو الثقافات القديمة.

ففي ثقافة هنود أُجِيبْوَا مثلاً يسلم الناس بأن الآلهة تخاطبهم بواسطة البرق؛ وأن الأحجار هي علامات وضعتها الآلهة مرتبة في الخلاء لمساعدة الرجال والاهتداء بها لقطع الفيافي، كما أن كهول قبائل "الزُّونِي" التي تسمع الذئاب تعوي خلال الليل المخيم يزعمون أنهم يستطيعون أن يعيدوا ترجمة حواراتهم للأطفال، وحسب "هَايْمَسْ" فإن كل هذه الوقائع هي من قبيل التواصل (**http://www.lissaniat.net**).

وتهدف سيميولوجيا التواصل عبر علاماتها إلى الإبلاغ والتأثير على الغير عن وعي أو غير وعي.

كما أن التواصل نوعان: تواصل إبلاغي لساني لفظي (اللغة) وتواصل إبلاغي غير لساني (علامات المرور مثلا)،ولهذا يعتبر كل من "بريبطو (Prieto) " و"مونان (Mounin)" و"بويسنس (Buyssens)" الدليل مجرد أداة تواصلية تؤدي وظيفة التبليغ وتحمل قصدا تواصليا،وهذا القصد التواصلي حاضر في الأنساق اللغوية وغير اللغوية ،كما أن الوظيفة الأولية للغة هي التأثير على المخاطب من خلال ثنائية الأوامر والنواهي، ولكن هذا التأثير قد يكون مقصودا وقد لا يكون مقصودا،و يستخدم في ذلك مجموعة من الأمارات التي يمكن تقسيمها إلى ثلاث (**http://www.marocsite.com**) :

1.**الأمارات العفوية** وهي وقائع ذات قصد مغاير للإشارة تحمل إبلاغا عفويا وطبيعيا مثال : لون السماء الذي يشير بالنسبة لصياد السمك إلى حالة البحر يوم غد. والأمارات العفوية المغلوطة التي تريد أن تخفي الدلالات التواصلية للغة كأن

يستعمل متكلم ما لكنة لغوية ينتحل من خلالها شخصية أجنبية ليوهمنا بأنه غريب عن البلد.

2. **والأمارات القصدية** التي تهدف إلى تبليغ إرسالية مثل : علامات المرور، وتسمى هذه الأمارات القصدية أيضا بالعلامات.فكل خطاب لغوي وغير لغوي يتجاوز الدلالة إلى الإبلاغ والقصدية الوظيفية، يمكننا إدراجه ضمن سيميولوجيا التواصل، وكمثال لتبسيط ما سلف ذكره : عندما يستعمل الأستاذ داخل قسمه مجموعة من الإشارات اللفظية وغير اللفظية الموجهة إلى التلميذ ليؤنبه أو يعاتبه على سلوكاته الطائشة فإن الغرض منها هو التواصل والتبليغ.

2.3 سيميولوجـيا الدلالـة

يعتبر "رولان بارت" خير من يمثل هذا الاتجاه، لأن البحث السيميولوجي لديه هو دراسة الأنظمة والأنسقة الدالة، فجميع الوقائع والأشكال الرمزية والأنظمة اللغوية تدل، فهناك من يدل باللغة وهناك من يدل بدون اللغة المعهودة، بيد أن لها لغة خاصة ومادامت الأنساق والوقائع كلها دالة، فلا عيب من تطبيق المقاييس اللسانية على الوقائع غير اللفظية أي الأنظمة السيميولوجية غير اللسانية لبناء الطرح الدلالي، وقد انتقد "بارت" في كتابه " عناصر السيميولوجيا" الأطروحة السوسيرية التي تدعو إلى إدماج اللسانيات في السيميولوجيا مبينا بأن" اللسانيات ليست فرعا ، ولو كان مميزا، من علم العلامات، بل السيميولوجيا هي التي تشكل فرعا من اللسانيات(**مبارك حنون:1987 ، ص.76)** .

وبالتالي تجاوز "رولان بارت" تصور الوظيفيين الذين ربطوا بين العلامات والقصدية، وأكد وجود أنساق غير لفظية حيث التواصل غير إرادي، ولكن البعد الدلالي موجود بدرجة كبيرة، وتعتبر اللغة الوسيلة الوحيدة التي تجعل هذه الأنساق والأشياء غير اللفظية دالة، حيث إن كل المجالات المعرفية ذات العمق السوسيولوجي الحقيقي تفرض علينا مواجهة اللغة، ذلك أن " الأشياء" تحمل دلالات، غير أنه ما كان لها أن تكون أنساقا سيميولوجية أو أنساقا دالة لولا تدخل اللغة ولولا امتزاجها باللغة، فهي إذاً تكتسب صفة النسق السيميولوجي

من اللغة، وهذا ما دفع ببارت إلى أن يرى أنه من الصعب جدا تصور إمكان وجود مدلولات نسق صور أو أشياء خارج اللغة، فلا وجود لمعنى إلا لما هو مسمى، وعالم المدلولات ليس سوى عالم اللغة(**مبارك حنون:1987 ، ص.74**).

أما عناصر سيميولوجيا الدلالة لدى "بارت" فقد حددها في كتابه" عناصر السيميولوجيا" ، وهي مستقاة على شكل ثنائيات من اللسانيات البنيوية وهي: اللغة والكلام، والدال والمدلول، والمركب والنظام، والتقرير والإيحاء(الدلالة الذاتية والدلالة الإيحائية).وهكذا حاول رولان بارت الاستعانة باللسانيات لمقاربة الظواهر السيميولوجية كأنظمة الموضة والأساطير والإشهار... الخ (**http://www.marocsite.com**).

ويعني هذا أن "رولان بارت" عندما يدرس الموضة مثلا يطبق عليها المقاربة اللسانية تفكيكا وتركيبا من خلال استقراء معاني الموضة ودلالات الأزياء وتعيين وحداتها الدالة ومقصدياتها الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والثقافية، ونفس الشيء في قراءته للطبخ والصور الفوتوغرافية والإشهار واللوحات البصرية.

كما يمكن إدراج المدارس السيميولوجية النصية التطبيقية التي تقارب الإبداع الأدبي والفني ضمن سيميولوجيا الدلالة، بينما سيميولوجيا الثقافة التي تبحث عن القصدية والوظيفة داخل الظواهر الثقافية والإثنية البشرية يمكن إدراجها ضمن سيميولوجيا التواصل، ولتبسيط سيميولوجيا الدلالة نقول: إن أزياء الموضة وحدات دالة إذ يمكن أثناء دراسة الألوان والأشكال لسانيا أن نبحث عن دلالاتها الاجتماعية والطبقية والنفسية، كما ينبغي البحث أثناء تحليلنا للنصوص الشعرية عن دلالات الرموز والأساطير ومعاني البحور الشعرية الموظفة ودلالات تشغيل معجم التصوف أو الطبيعة أو أي معجم آخر(**http://www.marocsite.com**).

3.3 سيميولوجيا الثقافة

تنطلق **سيميولوجيا الثقافة** من اعتبار الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساقا دلالية، والثقافة عبارة عن إسناد وظيفة للأشياء الطبيعية وتسميتها

وتذكرها، وعلى هذا فالسيميولوجيا ترتبط باللسانيات وخاصة اللسانيات البنيوية والتحليلية ولسانيات الخطاب(**ميشال أريفيه وآخرون: 2002،ص.32**).

ويبدو، ضمن هذا المنظور، أن الثقافة ترسخ التجربة السابقة بواسطة التذكر أو الصناعة التذكرية، فالإنسان يراكم ويعد الأخبار المستعمل لإدخال تصحيحات ضرورية في برامج التذكرية، ويعني ذلك أن حصيلة عمل الإنسان تكمن في سلوك ذي معنى، وهذا السلوك ليس سوى إنجاز لبرنامج معين،وهذا البرنامج المعين هو الثقافة (**مبارك حنون:1987، ص87**).

وبناءً على هذا التصور، فإن السيميوطيقا هي العلم الذي يعنى بدراسة الظواهر الثقافية باعتبارها عمليات تواصلية، وبالتالي فإنه يمكن للظواهر الثقافية –ويجب عليها- أن تصير موضوعات للتواصل، ومن ثمة تعود كل ظاهرة ثقافية، بالضرورة إلى السيميوطيقا.

وإذا كانت السيميوطيقا تعنى بالثقافة في شموليتها، وكانت العلوم تعني بظواهر خاصة من سيميوطيقا الثقافة، فان السيميوطيقا تشمل مختلف العلوم وترادف إلى حد ما الابستميمولوجيا (**مبارك حنون:1987، ص89**).

وبناءا على هذا صار التحليل السيميولوجي تصورا نظريا ومنهجا تطبيقيا في شتى المعارف والدراسات الإنسانية والفكرية والعلمية وأداة في مقاربة الأنساق اللغوية وغير اللغوية، وأصبح هذا التحليل مفتاحا لابد من الالتجاء إليها قصد الفهم والتحكم في آليات التأويل والقراءة.

ويمكن الآن أن نذكر مجموعة من الحقول التي استعملت فيها التقنيات السيميولوجية للتفكيك والتركيب(**http://www.arabicnadwah.com**):

1. الشعر(مولينو- رومان جاكبسون- جوليا كريستيفا- جيرار دولودال- ميكائيل ريفاتير....).
2. الرواية والقصة: (ݣريماس- كلود بريموند- بارت- كريستيفا-تودوروف- جيرار جنيت- فيليب هامون...).

3. الأسطورة والخرافة:(فلاديمير بروب...).

4. المسرح(هيلبو- كير إيلام(Elam Keir)).

5. السينما(كريستيان ميتز- يوري لوتمان...).

6. الإشهار(رولان بارت- جورج بنينو (G. Penino) – جان دوران (J. Durand) ...).

7. الأزياء والأطعمة والأشربة والموضة (رولان بارت-....).

8. التشكيل وفن الرسم:(بيير فروكستيل (Pierre Francastel)- لويس مارتان(louis Martin)- هوبرت داميش (Ebert Damisch)- جان لويس شيفر....).

9.التواصل: (جورج مونان- بريبطو-....).

10.الثقافة(يوري لوتمان- توبوروف- بياتيكورسكي- وإيفانوف- أوسبنسكي- أمبرطو إيكو- روسي لاندي-....).

11.الصورة الفوتوغرافية:(العدد الأول من مجلة التواصل" رولان بارت"...).

12.القصة المصورة (La bande dessinée): (بيير فريزنولد دورييل(Pierre Fresmanlt-Deruelle)........).

13.الموسيقى: (مجلة Musique en jeu في سنوات 1970-1971 ...).

14.الفن: (موكاروفسكي-.....).

الفصل الثاني

ماهية السيميولوجيا

عند فردناند دي سوسير

1.ثنائيات فردناند دي سوسير

2.المبادئ البنيوية عند دي سوسير

3.خصائص العلامة عند دي سوسير

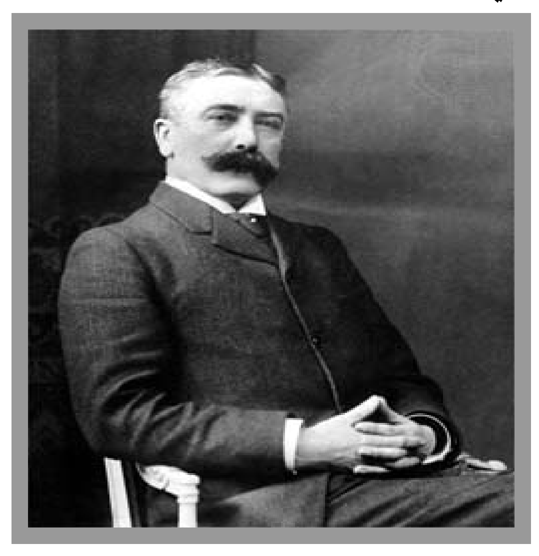
تمهيد

مما لاشك فيه أن كتاب دي سوسير المعنون بـ "محاضرات في اللسانيات العامة قد بلغ قيمة علمية كبيرة في مجال اللسانيات، فقد ساعد على تحديد مجرى لسانيات القرن العشرين، والابتعاد بها كليا عن المناهج اللسانيات التاريخية.

ومن الأمور التي اشتهر بها دي سوسير استخدامه لظاهرة ملفتة للانتباه تمثلت فيما يسمى بالثنائيات، ومن الممكن جدا أن يكون دي سوسير قد تأثر بالنظرية الكلاسيكية القائلة بأن ثمة وجهين مختلفين لكل شيء في هذا الكون كلاهما يكمل الآخر، وقد ظهرت هذه الفكرة من قبل عند أرسطو وديكارت، وقد استعملها دي سوسير من جديد في شكل دعائم مزدوجة أو تفرعات ثنائية.

يقوم المنهج الذي تبناه "فردناند دي سوسير(**Ferdinand de Saussure**) على فكرة النظام اللساني الذي يتكون من عناصر دالة منسجمة فيما بينها تمثل بنيته الجوهرية.

فلقد أوضح "دي سوسير" أن هدف الدراسة هو اللغة وبينما أن اللغة علامات مختزنة في الذهن، فالهدف من الدراسة اللغوية إذن هو دراسة العلامة اللغوية أو الدليل اللغوي.



"(Ferdinand de Saussure1857-1913)

فردناند دي سوسير **(Ferdinand de Saussure)**" لغوي سويسري ولد بجنيف 26 نوفمبر عام **(1857)**، والتحق بجامعة لا يبزيش، عام **(1876)**، فتتلمذ على يد الأستاذ الكبير "جورج كورتيوس" وكانت له فرصة الالتقاء بالنحاة الشباب المحدثين(الثائرين على هذا الأستاذ) وعلى رأسهم "كارل بروجمان"(**محمود ابراقن:دون سنة، ص.45**).

والتحق بحلقة اللغويين الألمان وأسهم بأفكاره في مجال الدراسات المقارنة وفي سنة **(1878)** في شهر ديسمبر أنهى مشروع البحث الذي يحمل عنوان "مذكرة في النظام البدائي للصوائت في اللغات الهند وأوربية"، وقد طبع هذا البحث في سنة **(1889)** وحقق شهرة عالمية وكان دي سوسير آنذاك لا يتجاوز الواحد والعشرين من عمره، وأقام بباريس من بين **(1880 إلى 1891)** حيث في **(1880)** تقدم بأطروحته التي تحمل عنوان "استعمال المضاف المطلق في اللغة السنسكرتية" (**نور الهدى لوشن: دون سنة، ص 298-299**).

وتولى خلال هذه المرحلة منصب مدير الدراسات بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا، وفي الوقت نفسه كان يحاضر هناك لجمع الطلبة في اللسانيات التاريخية والمقارنة.

وفي عام **(1891)** رجع إلى مسقط رأسه واستقر هناك يدرس بجامعة جنيف إلى وافته المنية سنة **(1913)** عن عمر يناهز الستة والخمسين عاما نتيجة سرطان أصابه في حلقه.

وهكذا قضى دي سوسير جل حياته في دراسة اللسانيات التاريخية وتدريسها ولم يدرس اللسانيات الآنية والتنظير اللساني العام اللذين اشتهر بهما بعد موته إلا في السنوات الأخيرة من حياته وبدون منازع يعد هذا المفكر

السويسري اليوم أب اللسانيات الحديثة ومؤسس المنهج الآني وأول منظر في كل من البنيوية والسيميولوجيا (**أحمد مؤمن: 2003، ص. 118**).

و بعد وفاته، في 22 فبراير سنة (**1913**)، جمع طلبته (نذكر من بينهم: بالي (Ch.Bally) وسيشيهي (Sechehaye) اللذين خلفاه على رأس مدرسة جنيف اللسانية) كل دروسه لينشروها، عام (1916)، في مؤلف بعنوان "محاضرات في اللسانيات العامة(Cours de Linguistique Générale)" **(محمود ابراقن:دون سنة، ص.45)**،وذلك انطلاقا من الكراسات المتنوعة للطلبة والحواشي التي كتبها نفسه.

وتبدو الحياة السرية لهذا العالم المتقشف ممزقة تتخللها انكسارات وتهزها من العمق مأساة عنيفة، خفية نلحظها في هذه تنقلاته**(أن إينو :2004، ص 21)**.

لم يكن ولوع " دي سوسير" بإبراز أوجه التناقض في اللسان بمجرد رغبة أو هوسا على حد تعبر "فيكتور هنري" بقدر ما كانت تلك الثنائيات نتاج تمحيص لبنى اللغة، ويبدو أن هذه الثنائيات لا تمثل تطابقا واختلافا جذريا كما يتصورها البعض أن تكون فهي متداخلة، وتبدأ حين تنتهي سابقتها، وليس لأحدهما قيمة إلا بالأخرى فالفصل الذي يقيمه الدارس بين الدراسة التاريخية والآنية لا يحدث على مستوى الأشياء المدروسة لغويا، وإنما في مستوى الذهن فهي كخطوط الطول والعرض تسهل على الدارس لجغرافيا الأرض فقط، إن ثنائيات "دي سوسير" تكشف عن مجمل تصوره اللساني، وقد أضحت هذه الثنائيات مبادئ أساسية للسانيات العامة، وربما كان مهما في التأسيس اللساني عرضها كما وردت في محاضرات "دي سوسير" وهي كالآتي **(بوقرة نعمان:2006، ص. 88)**.

1.ثنائيات فردناند دي سوسير

ومن جملة الثنائيات التي قدمها"دي سوسير" هي: ثنائية: لسان/ كلام، ثنائية: دال/ مدلول، ثنائية:آني/ تطوري، ثنائية: التركيبي/ الاستبدالي.

1.1 ثنائية لسان/ كلام

تقوم اللغة **(Langage)** حسب رأي "دي سوسير" على عنصرين رئيسين : "لسان" والذي يعتبره: " على أنه نسق من العلامات المعبرة عن أفكار، وهو بذلك شبيه بأبجدية الصم والبكم وبالطقوس الرمزية وبأشكال الآداب والإشارات العسكرية، إلا أنه يعد أرقى هذه الأنساق، من هنا تأتي إمكانية البحث عن علم يقوم بدراسة هذه العلامات داخل الحياة الاجتماعية..." أو **بوصفه** شفرة اتفقت عليها الجماعة اللغوية **(Langue)** و"كلام" **(Parole)** بوصفه استعمالا شخصيا لتلك الشفرة، وهو ما يعطي لنا المعادلة الآتية:

اللغة= لسان +كلام، لأن اللغة اللفظية تتمثل في مقدرة الإنسان على الاتصال باستخدامه لنظام دلائل صوتية(**محمود ابراقن:دون سنة،ص.78**).

وهكذا تتألف اللغة حسب "دي سوسير" من موضوع (لسان) ، فاللسان واقعة تتمتع بوضع خاص، فهو أرقى هذه الأنساق وأكثرها أهمية، بل يمكن القول إن اللسان هو الأداة الوحيدة التي عبرها نعقل الكون ونحوله من مجرد " معطيات حسية بلا نظام " إلى كون يُعقل من خلال كيانات أخرى هي المفاهيم، فاللسان وحده يستطيع أن يكون في نفس الآن أداة للتواصل (فهو أرقى وسيلة للتواصل وتبادل المعارف والخبرات الإنسانية)، ويشتغل كنسق يوضح نفسه بنفسه (اللغات الواصفة المشتقة منه بهدف مقاربة تجارب معرفية متنوعة، واللغات الواصفة المشتقة منه لدراسة قوانينه التركيبية والدلالية والصوتية ...).

وهو أيضا- وبعد هذا وذاك -الأداة الوحيدة لفهم وتأويل الأنساق الأخرى،فلا يمكن الحديث عن الموسيقى من خلال خطاب مشتق من النوتات الموسيقية، تماما كما لا يمكن شرح الصورة بالصورة، ولا فهم اللوحة من خلال خطاب آخر غير خطاب الكلمات المؤولة لعناصر اللوحة.

فلا يمكن معرفة أي شيء دون الاستعانة بعلامات اللسان، ذلك أن العالم بكل موجوداته يحضر في الذهن على شكل مضمون لساني، فأشياؤه وتجاربه توزع وتصنف من خلال المفاهيم وطرق التقطيع التي يوفرها اللسان، فنحن لا يمكن أن ندرك هذا العالم ولا أن نعرف عنه أي شيء إلا عبر الكلمات وكل ما يسمح به نظام اللسان، فاللسان أداة للتعيين وأداة للتصنيف وأداة للتقطيع المفهومي **(http://www.saidbengrad.com)**.

ويمكن أن يفهم من هذه الثنائية أن الكلام يمتلك تنظيما مستقلا عن اللسان إلا أنه يبقى في حقيقة الأمر، مجسدا في أرض الواقع ومقررا لمساره فعلا.

إن كلا من **اللسان والكلام** هما في علاقة جدلية حقيقية : لأن اللسان، في نظر "دي سوسير" هو الكنز الذي يودع بفضل ممارسة الكلام في ذاكرة أفراد الجماعة اللغوية نفسها بمعنى أن اللسان لا وجود له خارج الكتلة المتكلمة، علما بأن الكلام هو الذي يطور اللسان: لأن وقائعه-تاريخيا- هي التي تسبق دائما وقائع اللسان.

وبالنظر إلى أن اللسان هو، في الوقت نفسه، منتج اجتماعي وأداة اتصال فإنه هو الذي يحدد هو الذي يحدد موضوع علم اللسان، بخلاف الكلام (كفعل اتصال) الذي يصبح، في نهاية الأمر، لسانا(**محمود ابراقن:دون سنة،ص.79-81)**.

فاللغة إذن مؤسسة مجتمعية، ونظام من القيم، وهي ليست فعلا لأنها عقد جمعي على حكم ما يرغب في التواصل أن يخضع كلية، أما **الكلام** فهو الفعل الفردي الذي بواسطته ومن خلاله يستطيع المتكلم استخدام شفرة **اللسان** بقصد التعبير عن أفكاره الخاصة، وهكذا نستطيع القول انه لا يمكن قيام كلام بدون **لسان** ولا **لسان** بدون **كلام. فالكلام** أعم من اللغة عند سوسير، فهو يشمل فعلاً بشرياً كثيراً تتضافر على صنعه معارف نفسية وفيزيولوجية.

وبهذا ينظر "دي سوسير" إلى اللغة، كمنظومة لغوية مطلقة، فإنه يسمح بالقول بأن اللغة ليست المنظومة العلاماتية الوحيدة، وأن ثمة منظومات أولية كثيرة من هذا النوع (أو "اللغات")، على سبيل المثال، فإن علامات الطرق والإشارات الضوئية تعتبر منظومات علاماتية أيضاً: إنها تمثل شكلاً من أشكال "اللغة"، فالدال هنا هو "اللون الأخضر"، وهو يتطابق والمدلول الذي يعني "الطريق خال"، والعلاقة القائمة بينهما هي علاقة اعتباطية غير معلّلة، مثلها مثل العلاقة اللغوية.

وعليه يمكننا تطبيق الثنائية السوسيرية (لسان/ كلام) على بعض أنظمة الاتصال، ونكتفي في هذا الفصل، بدراسة:

- **نظام الاتصال اللباسي**.

يتكون نظام الاتصال بواسطة لباس الموضة من ثلاث فئات **(محمود ابراقن:دون سنة،ص ص.101-103)**.

أ.الألبسة المكتوبة: والتي يعبر عنها بواسطة اللغة اللفظية، وهي عبارة عن مجموعة من الدلائل اللفظية (التي تمثل اللسان البشري كشكل يكاد كون "صافيا") .

وبهذا فهي تعد لسانا، وبما أن "اللسان اللباسي لم يصدر، عن الكتلة المتكلمة وإنما فقط عن أصحاب القرار الذين أمروا بصياغة الشفرة، فيمكن عد اللباس المكتوب "لسانا" على مستوى الاتصال اللباسي وكلاما على مستوى الاتصال اللفظي.

ب. الألبسة المصورة: وهي الألبسة غير المصاحبة بأي وصف لفظي، وبالرغم من أن اللسان في هذه الحالة يصدر عن أصحاب القرار، إلا أنه لم يقدم هنا في صورته التجريدية كما هو الحال في الألبسة المكتوبة: لأن الألبسة المصورة لا نقرأ عنها ولكن نراها دائما محمولة وملبوسة من قبل امرأة واحدة، وهنا يتجسد "لسان الموضة من خلال اللباس المصور وكذلك من خلال الفنانة نفسها الحاملة والمرتدية لذلك اللباس.ولكن، وبما أن هذه الفنانة فردا معياريا، وقد تم اختيارها للقيام بوظيفة أيقونة محددة، فإنها تمثل كلاما جامدا ومجردا من كل حرية إبداع.

ج. الألبسة المحمولة

وهي الألبسة الواقعية، ويتم التمييز بين "اللسان" و"الكلام"، في هذه الحالة، بالطريقة الكلاسيكية وذلك من خلال العنصرين الآتيين.

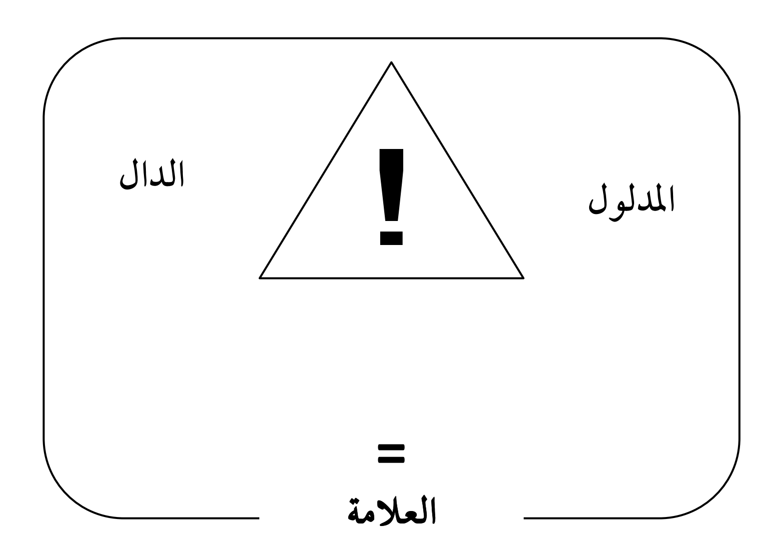
1. التقابل بين مختلف أنواع الألبسة: بحيث إن أي تغيير في المعنى: فارتداء القبعة أو الطربوش ليس لهما المعنى نفسه.
2. قواعد الربط أو الجمع بين مختلف أنواع الألبسة هي القواعد التي ينبغي مراعاتها في ارتداء أي لباس.

أما الكلام اللباسي فإنه يتضمن كل الجوانب المتعلقة بصناعة الألبسة بطريقة غريبة وغير مألوفة من جهة والبصمات الشخصية المترتبة عن ارتداء

الفنانة أو نجمة السينما لتلك الألبسة (فيما يخص القامة، طول الألبسة، طريقة المشي، تسريحة الشعر...الخ) من جهة أخرى.

2.2 ثنائية الدال/ المدلول

فالعلامة اللغوية تعد وحدة النظام اللساني وهي تتكون من صورة سمعية(**Image acoustique**) ومفهوم (**Concept**) ، ثم يصرح "دي سوسير" بالإبقاء على مصطلح العلامة للدلالة على الكل، وتعويض مفهوم وصورة سمعية بلفظتي دال). (**le signifiant**) ومدلول(**le signifié**)، وهو كما هو موضح في الشكل الموالي:



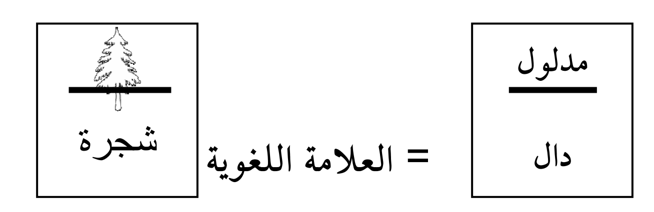
إذن فالدال عند "دي سوسير" صورة سمعية مشتقة من كيان صوتي، أو هي تمثيل طباعي (في حال وجود كتابة)، إنه متوالية من الأصوات أراد لها الاستعمال الجماعي الناتج عن تعاقد لا تُعرف له بداية، أن تكون كيانا يحل محل شيء آخر، ويتميز هذا الكيان بـ :

أ- إنه نفسي وليس ماديا، فنحن لا نحتاج إلى استحضار الجزء المادي في تعريفه. إن آلة الصوت لا تحدد مضمون الصوت، من هنا فإنه البصمة النفسية التي تلتقطها أذن المتلقي، أو يقوم بتشكيلها لسان الباعث، إنه نفسي فنحن نستطيع أن نتحدث إلى أنفسنا أو نستظهر مسرحية أو قصيدة شعرية دون تحريك الشفاه (F.De.Sausure :1979, p.98) .

ب- إنه مفروض وليس حرا، فالذات المتكلمة لا تستشار في أمره، ومن ثم لا تستطيع لا تبديله ولا تغييره. فهو نتيجة عرف، وسلطة العرف أقوى وأعمق من سلطة القانون، فالدال الذي يختاره اللسان لايمكن استبداله بآخر لأنه ينفلت من إرادتنا ومن قدرتنا على إحلال عنصر آخر محله.

وأما المدلول فهو التصور الذهني الذي نملكه عن شيء ما في العالم الخارجي. إنه ليس الشيء ولا يمكن أن يكونه، إنه الصورة المجردة التي يمنحها اللسان إلى الشيء عبر التعيين والتسمية. فالشيء لا يحضر في الذهن من خلال ماديته، إنه يأتي إليه من خلال بنية شكلية تعد تكثيفا لمجموعة من الخصائص التي تمكننا من استحضار هذا الشيء وفق سياقات متعددة. ورغم أن "دي سوسير" لم يكن واضحا بما فيه الكفاية في تعريفه للمدلول، فإنه مع ذلك كان قطعيا في تحديد جوهره، فالمدلول ليس شيئا ولا يعين مرجعا، إنه يكتفي بالإحالة على قسم من الأشياء وفق سيرورة تقود إلى تجريد الظاهرة وتحويلها من الملموس إلى المجرد. وعلى هذا الأساس اعتبره "سوسير"، شأنه في ذلك شأن الدال، كيانا نفسيا (http://www.saidbengrad.com).

والعلامة اللغوية عند "دو سوسير" لا توجد بين الاسم والشئ وهي الفكرة السائدة قبله بل توجد بين مفهوم وصورة سمعية.



L'arbitraire واجهة حسية واجهة معنوية

ولتوضيح ما يعنيه "دي سوسير" بالعلامة اللغوية لنقل بشكل عام أن (الشجرة) كماهي موضحة في المخطط هي علامة لغوية تتألف من جانبين هما:

أ. جانب مادي حسي يتألف بدوره إلى شقين :

1. الموجود الخارجي أو الشيء.

2. اللفظ المنطوق الفعل الذي يتألف من أصوات لغوية.

ب.جانب ذهني معنوي يتألف بدوره إلى شقين:

1. مفهوم أو صورة ذهنية للموجود الذي يشار بلفظ شجرة.

2.صورة سمعية أي صورة اللفظ نفسه التي يمكن أن نتمثلها لو نظرنا إلى كلمة (شجرة) (مكتوبة دون أن ننطق بها).

والعلامة اللغوية عند "دي سوسير" تستبعد الجانب بشقيه فما هي إلا صورة مركبة من مدلول ودال، وهاتان الصورتان الذهنيتان لايمكن أن تنفصلا لأنها كصفحة من الورق من المستحيل أن تقطع الوجه دون أن تقطع الآخر.

3.1 ثنائية آني/تطوري

من الواضح أن المنهج الذي كان سائدا في القرن التاسع عشر قبل دي سوسير هو الدراسة التاريخية التطورية وقد بقيت الأمور على تلك الحال إلى أن نشر الكتاب محاضرات في اللسانيات العامة سنة 1916 الذي شكك في جدوى الدراسات التاريخية، لأن ضرورة معرفة ما يطرأ على الظاهرة اللغوية عبر الزمن يأتي بعد معرفة الظاهرة في حد ذاتها في الزمن المعين(**خولة الإبراهيمي:2000، ص 13**).

وبهذا نجد أن هناك لسانيات خاصة بالدراسات الآنية **(Linguistiques Synchroniques)** و لسانيات خاصة بالدراسات التطورية **(Linguistiques Diachroniques)**، فاللسانيات الآنية أو السكونية واللسانيات التطورية ، لا يمكن القطع بأنها لا تشكل أول ميلاد حقيقي للسانيات المعاصرة فقط، بل تمثل إلى جانب هذا أول رؤية منهجية في تحليل ومعالجة أية مدونة بين وضعها الآني أو وضعها الزمني (**عبد الجليل مرتاض: 2005، ص.21**).

فمصطلح اللسانيات الآنية (**Synchroniques**) **يتكون من**(Syn) بمعنى "في" و(**chroniques**) بمعنى "زمن"، كأن نقول حدث آني أي وقع الساعة (**أحمد علي بركات: دون سنة، ص.50**).

فهي تهتم بالنظام اللساني في ذاته في اللغة بمعزل عن التاريخ ويطلق على هذه الشعبة من اللسانيات الوصفية، وتعني بدارسة اللغة كما هي مستعملة في مكان وزمان معينين، وخاصة في الزمن الحاضر وذلك بوصف مستوياتها المعجمية، والصوتية، الصرفية، والتركيبية والدلالية بطريقة علمية، ويقابل مصطلح اللسانيات الآنية **اللسانيات الزمنية أو التطورية والتي** تعني في اللغة تطور أي تغير إلى شكل آخر واكتسب تراكيب جديدة، فاللسانيات التطورية (**Linguistiques Diachroniques**) **تتكون من** (**Dia**) **بمعنى "عبر"** و(**chroniques**) بمعنى "زمن" وتعني دراسة تطور اللغة عبر الزمن وهناك مصطلح آخر يستعمل مرادفا للسانيات الزمانية وهو اللسانيات التاريخية (**أحمد مؤمن:دون سنة، ص.9**).

أما **اصطلاحا**: فالدراسة اللسانيات التطورية أو الزمانية وهي دراسة الظاهرة اللسانية عبر مراحل زمنية متتالية ويعبر عنها بمصطلح التي تترجم إلى العربية بمصطلحات كثيرة، تعاقبي، تاريخي، زماني، زمني تطوري حركي.وتهتم هذه الدراسة بالوقوف عند التحول المرحلي للسان عقب الحقب الزمنية **(أحمد علي بركات: دون سنة، ص.220).**

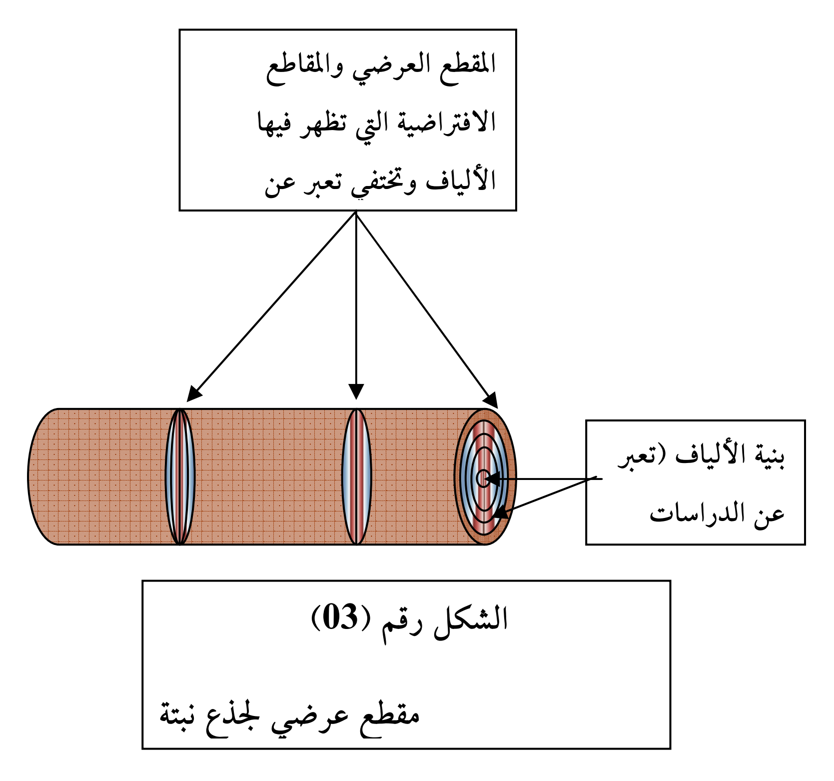
فاللسانيات الآنية تدرس أية لغة دراسة وصفية في حالة معينة أي في نقطة زمنية معينة ولا تقتصر في الواقع على دراسة اللغات الحديثة أو المعاصرة.أي دراسة اللغة كما هي مستعملة في مكان وزمان معينين وخاصة في الزمن الحاضر وذلك بوصف مستوياتها المعجمية والصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية بطريقة علمية**(أحمد مؤمن:دون سنة، ص.9)**.

أما اللسانيات التطورية أو الزمانية فتتناول بالدراسة التغيرات والتطورات المختلفة التي طرأت على لغة ما عبر فترة من الزمن أو خلال حقب متتابعة في الزمن الماضي. وبدون شك، فإن كلا المنهجين مهم في الدراسة اللغوية وينبغي فقط عدم الخلط بينهما عند البحث إذ لكل منهما مبادئه الخاصة، فالمنهج الآني منهج استقرائي ساكن والمنهج الزماني منهج حركي تطوري والمؤكد أن "دي سوسير" لم يرفض البتة اللسانيات الزمانية، ولم يعدها شيئا ثانويا أو غير ضروري ولكنه ألح فقط على الفصل بينهما، كي لا تدحض النظرة التطورية الوصف الآني، وكي تثبت كل واقعة في مجالها الخاص.

بل دعا إلى عدم تغلب النظرة التاريخية على النظرة التي تعتمد إلى نظام اللغة في حالة تطورها أي أن يعلل كل شيء في هذا النظام بحوادث الزمان **(عبد الرحمان الحاج صالح:1972،ص.44).**

إذن وحسب "دي سوسير" اللسانيات الآنية تعني بالعلاقات النفسية والمنطقية التي تربط مفردات متواجدة معا وتشكل نظاما في العقل الجماعي للمتكلمين وعلى العكس تماما اللسانيات التطورية أو الزمانية تدرس العلاقات التي تربط المفردات المتعاقبة التي لا يدركها العقل الجماعي والتي يحل بعضها محل

البعض الآخر دون تشكيل أي نظام يذكر، ولتوضيح الفرق بينهما بشكل أفضل استعان "دو سوسير" بمثال دراسة نبات ما.



الشكل رقم (03)

مقطع عرضي لجذع نبتة

وكما هو موضح في الشكل رقم (03) نلاحظ بأن الدراسة الآنية مثلها مثل الشريحة المقطوعة قطعا عرضيا حيث نلاحظ على سطح المقطع رسما معقدا لا يمثل إلا منظورا للألياف الطويلة والدراسة الزمانية يمثلها المقطع الطولي الذي يظهر لنا الألياف نفسها التي تشكل النبات ولكن قد تتفرع هذه الألياف مرة وتختفي مرة أخرى، أما الدراسة العرضية فتبين العلاقات القائمة بين الألياف وترتيبها الخاص على مستوى معين.

وفي الواقع، إن الشريحة العرضية هي التي تمكننا من المعرفة الدقيقة للبنية النباتية في مرحلة خاصة من النمو، وذلك بمقارنة مختلف الأجزاء وعلاقة بعضها ببعض وكذا يجب أن تكون الدراسة الآنية حيث يكون التركيز على تناسق الأجزاء وترابطها ، ومن جهة أخرى فقد وضح "دي سوسير" العلاقة بين اللسانيات

الآنية والزمانية باستعمال لعبة الشطرنج كمثال "حي"، حيث إن ما يهمنا في هذه اللعبة ليس نشأتها أو تاريخها كانتقالها من إيران إلى دولة أخرى، وليس كل التحركات السابقة للبيادق منذ بداية اللعبة لأنها لا تغير شيئا من الأمر الواقع، بل ما يهمنا فعلا هو تموضع البيادق في اللحظة الحالية وعلاقتها ببعضها حيث ترتبط قيمة البيدق بموقعه على الرقعة، وكذلك الحال بالنسبة للغة، إذ تستمد كل مفردة قيمتها من خلال مقابلتها مع باقي المفردات الأخرى.

4.4 ثنائية: المحور التركيبي(النظمي)/المحور الاستبدالي

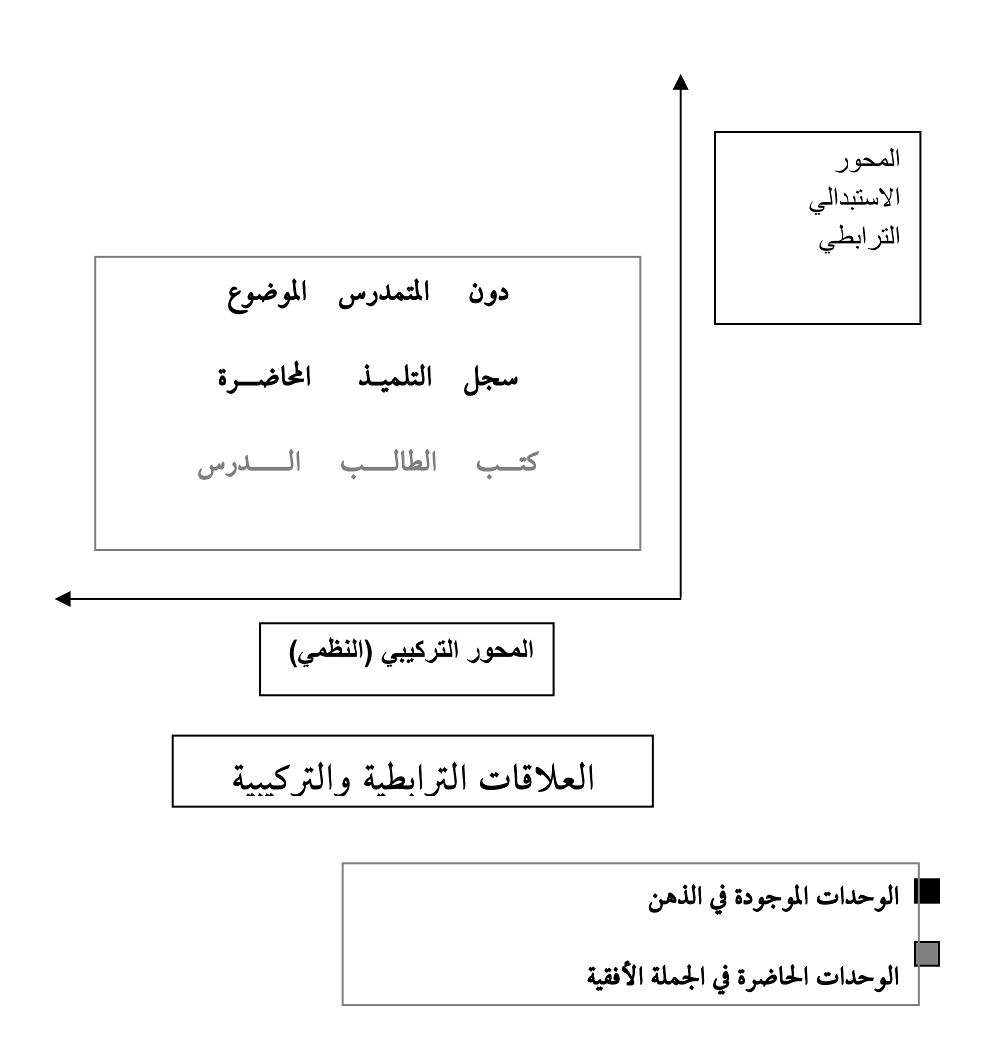
وتتمثل هذه الثنائية في العلاقات التركيبية وهي العلاقات الأفقية الموجودة بين الوحدات اللغوية ضمن السلسلة الكلامية الواحدة، كالعلاقة بين أصوات الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة، وتضفي كل وحدة معنى إضافيا على الكل، تكون في حالة تقابلية مع بقية الوحدات اللغوية الأخرى، ولا تكتسب قيمتها إلا بتقابلها مع الوحدات التي تسبقها أو تليها أو معهما جميعا **(أحمد مؤمن:دون سنة، ص.130)**، وتسمى هذه الأنساق الخطية تراكبية

مثال: كتَبَ الطالب الدرس، ففي هذه الجملة هناك علاقة تركيبية من ثلاث وحدات وهي: كتب + الطالب + الدرس

أما على مستوى المفردات فتتمثل هذه العلاقة في إدماج بعض الصوامت في أنساق تركيبية حسب القوانين الفونولوجية المتعارف عليها في تكوين مفردات لغة ما كهذه المجموعة لصوامت:س+يـ+مـ+يـ+و+لـ+و+جـ+يـ+ا والتي تعني مجتمعة سيميولوجيا، وفي هذا يقول "دي سوسير" تكتسب الكلمات علاقات مبنية على صفة اللغة الخطية بسبب ترابطها فيما بينها مما يستثني إمكانية لفظ عنصرين في آن واحد**(أحمد مؤمن:دون سنة، ص.131)**.

أما المحور الاستبدالي فيتمثل في العلاقات الاستبدالية أو الترابطية بين الوحدات اللغوية التي يمكن أن تحل محل بعضها بعض في سياق واحد، وبعبارة أخرى فإنها تعكس علاقات موجودة في أذهاننا، ففي المثال السابق يمكن تعويض

كلمة كتب بـ:دون، سجل،...، وكلمة الطالب بـ التلميذ، المتمدرس،... وكلمة درس بـ: المحاضرة، الموضوع،...وهكذا.



أما على مستوى المفردات يكون تحديد كل صوتم (Phonème) بمقابلته بالصواتم الأخرى التي يمكن أن تحل محله في سياقات مختلفة لتكوين الكلمات، وذلك كاستبدال الحرف الاستهلالي ببعض الحروف، والإبقاء على الحرف الثاني والثالث كما في هذه المفردات:قام، رام، هام، دام أو استبدال الحرف الثاني من

الكلمة بحرف آخر مع الإبقاء على الحرف الاستهلالي والختامي في هذه الكلمات ذهب، أدب، سلب...الخ.

2.المبادئ البنيوية عند فردناند دي سوسير

لقد تنبه كل من "أوغست كونت" و"كارل ماركس" و"إميل دوركايم" إلى الكل في دراسة المجتمع وأنه شيء زائد ومتجاوز لكل واحد من أجزائه، وأضاف "فردناند دي سوسير(**F.de Saussure**) إلى هذا المفهوم مبدأ أساسيا يتمثل في جانب النظم نفسه أي "التأليف الذي يستلزم أن تكون لكل جزء في داخل المجموعة صفات خاصة تشاركه فيها بعض الأجزاء وتغايره بها أجزاء أخرى، فباتصافه بتلك الصفات تكون له مع كل واحد من الأجزاء الأخرى علاقات ونسب ومجموع هذه النسب النظام (**Système**) وأطلق عليها فيما بعد لفظ البنية (**Structure**) لأنهم اعتبروا في التأليف البناء، وهكذا انتقل مفهوم البنية من الفن المعماري إلى البيولوجيا في القرن السابع عشر ثم إلى مجال الفلسفة والأنثروبولوجيا والتحليل النفسي والأدب في القرن التاسع عشر وأصبحت تدل على البناء، النظام(**قدور عبد الله ثاني:2004، ص.68**) ، وفيمايلي عرض موجز لكل من تعريف البنيوية، ونشأتها، وتجلياتها عند " دي سوسير(**F.de Saussure**) ، بالإضافة إلى خصائص العلامات اللغوية عنده .

1.2.مفهوم البنيوية ونشأتها

1.1.2 مفهوم البنيوية

أ. التعريف اللغوي للبنيوية

اشتقت البنيوية من لفظ "البنية"، التي تعني: تكوين الشيء، أو الكيفية التي شُيِّد عليها(**.http://www.al-jazirah.com**)، أما في اللغة العربية فبنية الشيء، تعني ما هو أصيل وجوهري وثابت ولا يتبدل بتبديل الأوضاع والكيفيات (**بشير تاوريريت:2006، ص.10**) أو بمعنى آخر هي مجموعة مركبة من العناصر المتماسكة،

والمتداخلة فيما بينها، بحيث تُلغى فكرة التفرّد؛ بل يتوقّف كل عنصر على بقية العناصر الأخرى، ومدى علاقته بها ،أما معجم تأصيل الكلمات **(Dictionnaire étymologique)** فتكون لفظة "بنية" **(Structure)** مشتقة من الكلمة اللاتينية **(Structura)** أي من فعل **(Strure)** بمعنى "بنى" **(Construire)** **(محمود ابراقن:دون سنة، ص.56).**

ب.التعريف الاصطلاحي للبنيوية

تعرف البنية بأنها "نسق من العلاقات الباطنية المدركة وفقا لمبدأ الأولوية المطلقة للكل على الأجزاء، له قوانينه الخاصة والمحايثة من حيث هو نسق يتصف بالوحدة الداخلية والانتظام الذاتي على نحو يفضي إلى أن أي تغيير في العلاقات يؤدي إلى تغيير في النسق نفسه وعلى نحو ينطوي فيه المجموع الكلي للعلاقات على دلالة يغدو معها النسق دالا على المعنى"**(قدور عبد الله ثاني:2004، ص ص.68-69).**

فتكون البنيوية عبارة عن دراسة العلاقات بين البنى المختلفة في النص الأدبي، وقد لخّص القول " دي سوسير**(F. de Saussure)**" الذي يُعدّ بأنها "تنظيم... يعبر عن تماسك العلاقات داخل ذلك النص الموحد"،أما عالم الاجتماع ليفي ستراوس فإنه يعرّفها بأنها "مجرد منهج أو نسق يمكن تطبيقه على أي نوع من الدراسات"، يُفهم من ذلك أن البنيوية نظرية قائمة على تحديد وظائف العناصر المترابطة الداخلة في النص أو الصورة.

وبالتالي فهي حسب رأي عبد الباسط معطي الهواري في كتابه النظرية المعاصرة في علم الاجتماع هي اكتشاف الماهيات الكامنة خلف كل بناء، هذه الماهيات التي تتمثل في العلاقات الموضوعية، وهي ليست ماهيات عقلية مجردة وإنما هي نفسها هذه العلاقات وليس شيء أخر أعلى منها.

2.1.2 نشأة البنيوية

ارتبطت البنيوية في أساسها الفلسفي بكثير من العلوم والميادين والنشاطات الفكرية المختلفة، حيث استند كثير ممن يزاولون الكتابة النقدية إلى مرجعية فكرية هي البنيوية التي ظهرت في أوروبا وأمريكا في الأربعينيات من القرن العشرين، بل ربما كانت أقدم من ذلك بكثير إذا سلمنا بأن مدرسة الشكليين الروس هي مبتكرة هذا التوجه الدراسي في النقد (**جون هال، وليام بويلوور وآخرون:1986،ص.5**) ، وظهرت في فرنسا في الستينات على أنقاض الوجودية التي بدأت تختفي من الساحة الفكرية بمفاهيم القلق والحرية والالتزام لتحل محلها مفاهيم النسق والبنية(**كندرارتوف:1972،ص.10**) وقد ظهرت بشكل خاص في أعمال الحكماء السبع وهم رواد الفكر البنيوي وهم:

1. كلود ليفي ستراوس[*] وهو أنثروبولوجي فرنسي **(1908)** وهو من الأوائل الذين أدخلوا البنائية في التفسير الأنثروبولوجي وفي تحليل النظم العائلية .

(*) ولد كلود ليفي شتراوس عام (1908)، وتلقى تعليمه في باريس، ودرس في جامعة ساو باولو في البرازيل من سنة (1935) إلى سنة (1939)، وقام في ذلك البلد ببحوث ميدانية أنثروبولوجية، وقد شغل منذ سنة (1959) منصب أستاذ الانثربولوجيا الاجتماعية في الكوليج دي فراني(دان سبيربر: 1996، ص 63).وليفي شتراوس ليس مجرد باحث، بل هو فنان، ففهارس كتبه اقرب إلى قائمة سريالية بالموجودات، كما توحي عناوين الفصول وترتبها في كتبه المخصصة للأسطورة بالتالف الموسيقي لا بالكتابة العلمية، (دان سبيربر:1996، ص 28)،كما يدعى ليفي شتراوس أن علينا أن نعتبر تقاليد الزواج ونظم القرابة نوعا من اللغة أو مجموعة من الإجراءات التي تسمح بإقامة نوع من أنواع الاتصال بين الأفراد والجماعات، ولا يعني كون العامل الوسيط في هذه الحالة هو نساء المجموعة اللواتي يتداولن بيت العشائر والسلالات أو العائلات بدلا من كلمات المجموعة التي تتداول بين الأفراد، لا يعني ذلك تغيير الحقيقة القائلة أن الناحية الأساسية في هذه الظاهرة تظل هي في الحالتين.كما حظي ليفي=

2. لويس ألتوسير (من مؤلفاته قراءة رأس المال والنظرية الاجتماعية والفلسفية).

3. رولان بارت (من مؤلفاته النقد الأدبي والدراسات الثقافية)(**).

4. كريستين ميتز (من مؤلفاته النقد السينمائي)

5. جاك لاكان(***) (من مؤلفاته التحليل النفسي).

6. مشيل فوكو(1926/ 1984)(****) فيلسوف فرنسي وأحد اتجاه ما بعد البنيوية.

= شتراوس على سمعته العلمية بين أقرانه من علماء الأنثروبولوجيا على أبحاثه الخاصة بالقرابة، وعلى اعتراف عامة الناس بمكانته على جهوده في الدفاع عن البنيوية. (دان سبيربر ، **1996، ص 54)، من أشهر كتبه "البنى الأولية للقرابة" الذي نشر عام (1949).**

(**) ولد بارت سنة (1915) ، ونشأ في بايلون وباريس، نال شهادة في الدراسات الكلاسيكية من جامعة السربون سنة (1939)، وبعد الحرب العالمية مباشرة درس في جامعتي بوخارست والإسكندرية ودرس منذ عام (1960) في الكلية العملية لدراسات العليا في باريس، في سنة (1976) أصبح أستاذ في علم السيمولوجيا الأدبية في كلوليج دي فرانس (**جون ستروك: 1996، ص96).**

(***) ولد جاك لا كان في باريس سنة (1901)، وتلقى تعليمه الطبي في كلية باريس الطبية حيث أصبح رئيس العيادة سنة (1932)، والتحق بحركة التحليل النفسي سنة (1936) ، وطرد في سنة (1959) من الرابطة العالمية، للتحليل النفسي وأسس سنة (1964) الكلية الفرويدية في باريس(مالكولم بوي، 1996، ص 178).

(****) ولد ميشيل فوكو سنة (1926) وانتقل سنة (1970)، بعد أن درس الفلسفة في جامعة كليرمونتفراند، إلى باريس حيث اشتغل أستاذ التاريخ النظم الفكرية في كوليج دي فرانس (**هيدن وايت، 1996، ص 135).**

7. **جاك دريدا** [*****].

إن ما يجمع هؤلاء الباحثين هو استخدامهم لمفهوم البناء لكي يضفي معنى على المادة الخام التي يقومون بدراستها، كما يقومون بفحص مثل هذه الظواهر من حيث العلاقات الداخلية المتبادلة بين عناصره المكونة لها.

بينما أول من أسس منهج البنيوية **العالم اللغوي السويسري** "فردناند دي سوسير(F. de Saussure)"، في محاضراته التي ألقاها عن ثنائية (لسان ،الكلام)، وثنائية (المحور التاريخي التطوري، والمحور التزامني الوصفي)، إضافة إلى ثنائية علمي اللغة: الداخلي والخارجي .

وقد قامت البنيوية على هذه الثنائيات اللغوية المتقابلة، وإن كان "سوسير(F. de Saussure)" كما أشرنا سابقاً لم يعبِّر بلفظ (البنية) وإنما (نظام)، ولكن اختلاف اللفظ لا يُشكِل مادام يقصد المعنى نفسه للبنية .وقد استفاد "سوسير(F. de Saussure)" من مبادئ المذهب التجريبي الذي تبنته الدراسات اللغوية.

وبعد حقبة من الزمن تنقلنا من سويسرا إلى الشكلانيين الروس؛ الذين وضعوا أسساً منهجية مستقلة عما يريده النظام الشيوعي من تركيز على المضمون ، ذهبوا إلى أن قيمة الوسيلة الأدبية تعتمد في الأساس على علاقتها مع الوسائل الأدبية الأخرى.

ومن المؤسسين لهذه المدرسة (رومان جاكبسون)؛ الذي التحق بعد ذلك بمدرسة (براغ)، وقد عمد إلى رسم بياني كامل بيّن فيه عوامل التواصل الكلامي

(*****) ولد جاك دريدا قرب مدينة الجزائر سنة (1930)، وتلقى علومه في الايكول نورمال سوبيريير في باريس(جوناثان كلر، 1996، ص 208)، والذي فرض نفسه على المشهد الفكري بثلاثة كتب هي في الكتابة، والكتابة والاختلاف، والكلام والظواهر.

بتوزيع المرسل والمرسل إليه، اللذين يعدهما من أهم عناصر التواصل الستة في الوظائف اللغوية،وقد كان السبّاق بلفظة (البنيوية) كمنهج نقدي (http://www.al-jazirah.com).

وبعد براغ والشكلانيين أثبتت مدرسة (النقد الجديد) في أمريكا وإنجلترا ضرورة عزل النص عمّا يؤثر فيه، وعدُّوا الأعمال الأدبية أشياء مجردة بعيدة عن العوامل الخارجية !!! أما ليفي "ستراوس" العالم الأنثروبولوجي فقد جعل النموذج اللغوي مقوِّماً في دراسة الكليّات، وهذا الاعتماد يسّر تمازج العلوم الإنسانية؛ الذي تجسّد بلقاء هذا العالم بـ(جاكبسون) ليتعاونا في تحليل نص "لبودلير" (القطط)، يصبح وقتها الميلاد الفعلي للمنهج البنيوي في النقد الأدبي .

بعد ذلك كان اهتمام علماء النفس بالشعور واللاشعور على أساس أنهما بنى لغوية، فنجد (جاك لاكان) يؤسس علم النفس البنيوي القائم على أن البنية الشاملة للغة هي بنية لاشعورية، وأن لا وجود لأية علاقة مباشرة بين النفس والتجربة، وكذلك الفرنسي (جان بياجيه)، الذي جعل للبنية ثلاث خصائص لا بد أن تتسم بها: هي الكلية؛ فتتكون البنية من عناصر داخلية خاضعة لقوانين النسق، والتحول؛ وهو سلسلة من التغيرات الباطنة تحدث داخل النسق، والتنظيم الذاتي؛ فتنظم البنية نفسها لتحفظ لها وحدتها، وتساهم في طول بقائها(.http://www.al-jazirah.com).

وكان للناقد الفرنسي (رولان بارت) إسهامات في البنيوية، ولكنه في آخر عمره انتقدها، ونأى عنها إلى التفكيكية .

أما عن ظهور البنيوية في التراث العربي فلم يكن النقد العربي القديم بأدواته يستطيع تحليل النص الأدبي كما يقوم به أصحاب البنيوية الآن؛ إلا أن هناك بعض البدايات والنظرات التي تشابه إلى حدٍ ما يقوم به البنيويون اليوم ، فحينما يكشف هؤلاء عن العلاقات المتشابكة في النص فأولئك بدورهم كانوا يبحثون عنها أيضا وإن لم تكن نفس العلاقات.

فعبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز تحدّث عن العلاقات النحوية في النص، وتأثيرها في التعبير الأدبي، ويرى "حسام الخطيب" أنه كما دافع "ابن قتيبة" و"المرزوقي" و"ابن خلدون"عن وحدة البيت في القصيدة، فإن البنيويين أيضا يهتمون بهذا الأمر، وأيضاً ممن كانت له إشارات ولمحات فيما يتصل بهذا المنهج الناقد العربي (حازم القرطاجني ق6هـ) حين أشار إلى البعض عناصر الاتصال في النص لدى البنيويين، إضافة إلى محاولاته في النظرة الكلية للنص الأدبي (http://www.al-jazirah.com).

ولم تنتشر البنيوية في العالم العربي كما كانت في الغرب تتوزع في كل المجالات، سواء العلوم الإنسانية، فقد تمركز هذا المنهج في النقد الأدبي دون غيره، وقد بدأت في أواسط الستينيات حين نشر (محمود أمين) في مجلة (المصور) مطلِقاً على هذه المناهج: (الهيكلية)، وبعدها توقف هذا الانتشار حتى نهاية السبعينيات ، فقد نشر العديد من النقاد والأدباء العرب دراساتهم التي اتجهت اتجاهي البنيوية: الشكلاني، والتكويني، وإن كان للتكوينية النصيب الأكبر من الانتشار .

ووضح شكري عيّاد في مقالته (موقف من البنيوية) مدى تقبّل النقاد العرب لهذا المنهج حين يحاول وضع تصور للبنيوية بين مناهج النقد الأخرى معلِّلاً لولادتها، ومدى علاقتها بالمناهج الأخرى كالسميولوجيا(http://www.al-jazirah.com.).

وعليه ظهرت البنيوية أساسا ضمن ثلاثة مجالات معرفية وهي:

- المجال اللساني مع "فردناند دي سوسير (F. de Saussure) " والمجال النقدي للأدب مع الباحث والناقد البنيوي "رومان جاكبسون"(1896-1972).
- المجال الأنثروبولوجي مع "ليفي ستراوس".
- المجال النفسي في أعمال "جاك لاكان".

ومن هذا يمكن القول إن البنيوية فلسفة تقوم على اهتمام بأمر الصورة(الشكل والنموذج) في أي نوع من أنواع المعرفة، أي أنها لا تهتم بأجزاء الظاهرة المدروسة في ذاتها وإنما بالعلاقات القائمة فيما بينها مما ينشئ فيما بينها لحمة من التناسق والترابط الذاتي ويشكل بارتباط بعضها بعض مفهوم **الكلية (قدور عبد الله ثاني:2004، ص.70).**

وحتى يتمكن اللسانيون البنيويون من دراسة أنظمة اللغات وتتبع قوانينها البيانية المبطنة فيما بين وحداتها، توصلوا إلى مجموعة من الأسس المنهجية **(قدور عبد الله ثاني:2004، ص ص.70-71):**

- وصف اللسان البشري وتحديد قوانينه المشتركة وخصائصه العامة من خلال دراسة اللغات الخاصة.

- اكتشاف الآلية التي تعمل بها اللغات وذلك بتصنيف وحداتها وإدراجها بعد تقطيعها إلى أصغر الأجزاء مما يدل على معنى في الجملة.

- رفض الاعتماد على موقف المعياري باعتبار يستند على موقف تعسفي يفحم في درس اللغة ما ليس منها ويحاكمها إليه ويمنعها من التبدل الذي هو سمة أصيلة وطبيعية فيها مثل ما اقتصر عليه النحاة الفرنسيون على لغة الحاشية الملكية واعتبروها أجود اللغات وأسلمها.

- لا يدرس البنيويون اللغة إلا لذاتها ومن أجل ذاتها من مبدأ الترابط الذاتي لبنية اللغة وعدم الاستناد لمكوناتها الخارجية.

2.2 تجليات المنهج البنيوي عند دي سوسير

يتجلى المنهج اللساني للبنيوية في أبرز المفاهيم التي تقدم بها "سوسير(Saussure F. de)" في محاضراته وكشف عن مبادئ البنيوية**(نصر الدين العياضي:1998،ص.59)**:

- الاهتمام بطبقة اللغة وجوهرها.

- تعرف العلامة اللغوية على أنها إنتاج عنصرين الدال والمدلول ونعتبر هذه الثنائية الصورة النموذجية التي يمكنها أن تختزل النظام اللساني وتدل عليه.
- اهتمامه بمبدأ نظامية اللغة.
- وأن اللغة عبارة عن مجموعة من العلاقات والقوانين تحكم مجموعة من العناصر المنتظمة في تناسق.
- وأنها نظام من العلامات لا قيمة لواحداتها وسائر مكوناتها إلا بالعلاقات القائمة فيما بينها.
- وأن قواعد الحالة النظامية الراهنة للغة هي المتحكمة في طبيعة التغيير اللغوي القائم على أساس التعاقب وهذا ما يفسر استمرار النظام اللساني لعلامات جديدة.
- تنبيه للمنهج التزامني في دراسة اللغة.
- تأكيده على العامل النفسي والاجتماعي للغة.

3. خصائص الدليل عند فردناند دي سوسير

يتميز الدليل اللساني عند "دي سوسير (F. de Saussure)" بالخصائص الست الآتية:

1. اللسان هو نظام دلائل.
2. نظرية الدليل اللساني: الدال والمدلول.
3. الطابع الاعتباطي.
4. التسلسل الخطي.
5. الطابع المميز.
6. التقطيع المزدوج.

1.3 اللسان هو نظام الدلائل

إن اللسان هو نظام متكون من دلائل، وكل دليل لا قيمة له إلا بالتقابل مع الدلائل الأخرى، داخل ذلك النظام.فإذا عزلنا دليلا ما عن النظام الذي يعطيه قيمته فإننا لانستطيع تعريفه لأن اللسان هو نظام ترتبط ف جميع أجزائه بعضها بعض على أساس اتحاد الهويات واختلافها وإن هذا الاختلاف الذي مثل جوهر النظام نفس يتم على أساس مبدأ التقابل (**محمود إبراقن:دون سنة،ص.59**).

ولهذا يعتبر "دي سوسير" اللسان" على أنه نسق من العلامات المعبرة عن أفكار، وهو بذلك شبيه بأبجدية الصم والبكم وبالطقوس الرمزية وبأشكال الآداب والإشارات العسكرية، إلا أنه يعد أرقى هذه الأنساق. من هنا تأتي إمكانية البحث عن علم يقوم بدراسة هذه العلامات داخل الحياة الاجتماعية . . . ..

فاللسان واقعة تتمتع بوضع خاص، فهو أرقى هذه الأنساق وأكثرها أهمية، بل يمكن القول إن اللسان هو الأداة الوحيدة التي عبرها نعقل الكون، ونحوّله من مجرد " معطيات حسية بلا نظام " إلى كون يُعقل من خلال كيانات أخرى هي المفاهيم ، ولاستيعاب هذا المعطى العام يكفي أن نستحضر الروابط الممكنة بين الأنساق وموقعها من بعضها البعض لكي ندرك أهمية اللسان ودوره الرئيس في التواصل وتنظيم التجربة وكذا دوره في التصنيف وإنتاج الدلالات وتنويعها(**http://www.saidbengrad.com**) .

إن وصف اللسان بأنه أرقى شكل داخل مجموع العلامات المغطية للجسم الاجتماعي، وكلها تشكل أدوات للتواصل، يجعل من تحديد هوية هذا اللسان وتحديد موضوعه وعناصر تشكله مدخلا أساسا لفهم كنه العلامات غير اللسانية ، من هنا كانت نقطة البدء عند "دي سوسير، فلكي يحدد مفهومه للعلامة انطلق من تحديد صارم ودقيق للسان ، فقوانينه لن يتم الكشف عنها قبل تعريفه وتحديد طبيعته وطبيعة الوحدات المكونة له ، فاللسان، باعتباره نسقا مستقلا يتميز بالانسجام والوحدة، هو أكثر الأنساق قابلية للوصف، وأكثرها قابلية لأن تشتق

منه قوانين وقواعد سهلة التعميم والتداول ، إنه ليس جوهرا، فهو نسق شكلي يتكون من علامات من طبيعة خاصة.

وكمـا يتضـح مـن التعريـف الـذي يقدمـه "دي سوسـير" للسـانيات وللسيميولوجيا معا، فإن هذين النشاطين المعرفيين متداخلان ومتشـابكان لدرجـة أن السيميولوجيا لكي تتأسس في حاجة إلى المعرفة اللسانية، وعندما تتأسس هـذه السميولوجيا، فإن قوانينها الجدية هي ما سيطبق على اللسانيات

.(http://www.saidbengrad.com)

فما هي طبيعة اللسان، وما هي طبيعة الوحدات المكونة له ؟

لقد رفض "دي سوسير" الفكرة البسيطة والساذجة القائلة بأن اللسان مدونة، أي أنه يتكون من مجموعة الكلمات التي تتناسب وواقع الأشياء في العالم الخارجي، وكان من الطبيعي إذن أن يرفض أن تكون هذه الكلمات مجرد ظل للأشياء، إن اللسان لا يعكس الواقع ولا ينسّخه، إنه يقدم مفصّلة مزدوجة له : إن التقطيع الصوتي، بالإضافة إلى طبيعته الفزيولوجية المادية، يشكل تمثيلا رمزيا تحضر الأشياء داخله على شكل رموز صوتية محددة لتواضع تمثيلي جماعي للكون. وفي الآن نفسه، فإن المفهوم الذي تحضر عبره الأشياء إلى اللغة ليس مادة بل تصورا نفسيا تم الحصول عليه عبر سيرورة ترميزية بالغة التعقيد، وفي الحالتين معا، فإن ما يأتي إلى اللسان ليحتمي به ليس أشياء قابلة للمعاينة والضبط بل صور شتى تكشف عن عمق تجربة الإنسان مع الأشياء. ولهذا رفض "دي سوسير" أن يجعل من الكلمات رهائن عند الأشياء، كما رفض أن تكون الأشياء جواهر وضعت سرا في الكلمات، ويعلل ذلك بسببين على الأقل :

1 - إن القول بأن اللسان مدونة معناه القول بأن الأفكار سابقة في الوجود على الكلمات، والحال أن لاشيء واضح قبل ظهور اللسان، ولا شيء يمكن أن يدرك خارج ما تسمح به العلامات، إن ذاكرة العالم ليست مضمونا فكريا يوجد خارج أي لسان، إنه مضمون من طبيعة لسانية، وعبر وحدات اللسان تتوضح الأفكار وتصنف التجارب وتدرك الأشياء وتوزع، فالعلامة ليست غلافا تسنده

الصدفة إلى الفكر، بل هي عضوه الضروري والأساس، فهي لا تستخدم من أجل إبلاغ فكر معطى بشكل جاهز، بل هي الأداة التي من خلالها يتخذ الفكر شكلا ويخرج للوجود، ومن خلالها فقط يكتسب كامل معناه **(Ernest Cassirire : 1972, p. 27)** .

2- إن القول بأن اللسان مدونة معناه القول إن العلاقة بين الكلمات وبين العالم الخارجي علاقة في غاية البساطة، والحال أن الأمر على خلاف ذلك ، فتشكل الدال وكذا تشكل المدلول خاضعان لسيرورة بالغة التعقيد والتركيب ، فإذا كانت الدوال هي من صنع التواضع والتعارف، فإن المدلولات تستدعي تحكما تجريديا في التجربة الواقعية وإخضاعها لعملية تقليص تقود إلى "الإمساك بالجوهر القابل للتعميم" على حد تعبير سابير **(E. Sapir : 1970, p.16)**، إنه تحديد للقانون الذي يجب أن يحكم وقائع التدليل استقبالا.

إن اللسان من طبيعة أخرى، لذا فإنه يخضع لقوانين وقواعد يجب معرفتها وتصنيفها وتحديد انعكاساتها على الأنساق الأخرى. وبهذا فهو لا يمكن أن يكون فقط أداة خاضعة في الوجود وفي الاشتغال لعرضية التجربة الواقعية وتحولاتها الدائمة، من هنا فإنه، وعلى الرغم من استجابته الدائمة لحاجيات التجربة الواقعية، منفصل عنها وفاعل فيها أيضا ، إنه يوجد خارج الفرد وخارج أهوائه، لذا رأى سوسير في اللسان مؤسسة اجتماعية **(F.De.Sausure :1979 ,p.25)** شبيهة بباقي المؤسسات الأخرى التي خلقها المجتمع ليودعها قيمه وأخلاقه وفكره وحضارته.

فاللسان يمكن النظر إليه باعتباره نسقا من العلامات الموجودة خارج إرادة الذات المتكلمة، فهو نتاج لما يسجله الفرد سلبيا، وعلى هذا الأساس فإن اللسان ليس فعلا ولكنه ذلك المخزون من الكلمات والقواعد السابقة في الوجود على الفرد، وهذا ما يجعله موضوعا للدرس، فنحن لانتكلّم اللغات الميتة، ولكننا على الرغم من ذلك، نستطيع دراستها وإعادة رسم ميكانيزماتها **(F.De.Sausure :1979, p.31)**.

استنادا إلى هذا، يمكن القول إن اللسان هو في الآن نفسه مؤسسة اجتماعية ونسق للقيم، فهو باعتباره مؤسسة لا علاقة له بالفعل الفردي، إنه تعاقد اجتماعي لا حول للفرد أمامه ولا قوة، وهو باعتباره نسقا من القيم يتكون من عناصر تشتغل في الآن نفسه باعتبارها ما يحل محل شيء ما، وباعتبارها علاقة بعضها ببعض.

وهذا ما دفع "دي سوسير "إلى تشبيه الوحدات اللسانية بالوحدات الاقتصادية: فالقطعة من النقود تكمن قمتها في أنها يمكن أن تبدل بأشياء أخرى غير النقود (أي أنها تقابل بأشياء غير متجانسة)، كما يشبه اللسان بلعبة الشطرنج: إن المهم لا يتمثل في طبيعة المادة التي صنعت منها القطع (خشب، عاج، بلاستيك) وإنما في الدور الذي تلعبه كل قطعة وفق نظام اللعبة ، فإذا نقص من عدد قطعها أو أضيف إليها فإن هذا يغير –بصفة جوهرية- من قواعد اللعبة لأن قيمة كل قطعة(من قطعها المحدودة العدد) ترجع إلى الموقع الذي تحتله على رقعة الشطرنج **(محمود إبر اقن:دون سنة، ص.59).**

وبناءً عليه، فإن جوهر اللسان يوجد خارج طابعه الصوتي، لذا فهو شكل وليس مادة، أي يجب أن ينظر إلى الوحدات اللسانية (من أصوات ومفردات وجمل) ليس كوحدات منفصلة، وإنما كشكل مترابط لا تظهر قيمته إلا من خلال ذلك الترابط بين عناصره وأجزائه جميعها، ومن ثم فإن تغيير موقع كلمة معينة، في جملة ما، ينتج عنه بالضرورة تغيير في الصيغة ومعنى الجملة ككل ، كما أن تبديل حرف من حروف الكلمة يترتب عنه تغيير في بنية تلك الكلمة والمعنى الذي تدل عليه **(محمود إبر اقن:دون سنة، ص.60).**

2.3 نظرية الدليل اللساني:الدال والمدلول

إن طبيعة الدليل **اللساني** تستند على عملية (التسمية) بواسطة تلك الأشياء التي ترافق الكلمة أو الاسم يقول "دي سوسير" إن وحدة **الدليل اللساني** لديها جزءان يسمى "(دي سوسير " هذين الجزأين بـ (المفهوم) و(الصورة الصوتية) فالصورة الصوتية ليست الصوت الفيزيائي (الطبيعي) (ذاك الذي يصنعه فمك

وتسمعه أذناك) بل بالأحرى التأثير النفسي للصوت الانطباع الذي يولده تفسير ذلك، تحدّث إلى نفسك - أنت لا تحدث صوتا، لكن لديك انطباع عمّا قلته.

فالدليل **اللساني** إذن، حسب "دي سوسير" من مضمون (مدلول Signifié) ومن تعبير صوتي (دال Signifiant) .

فالتعاريف الأكثر شيوعا لتعريف الدليل **اللساني** هو أن الدليل عبارة عن اتحاد بين المعنى والدلالة يقول "سوسير الصورة الصوتية هي المعنى والمفهوم هو الدلالة.

ويمكن تشبيه الدليل **اللساني** بورقة يكون وجهها الظاهر هو الصوت والوجه الآخر (الخفي) هو المفهوم أو الفكر، ومن ثم لانستطيع فصل المفاهيم عن الأصوات التي تنقل عن طريقها.بعبارة أخرى يرتبط الدال بالمدلول ارتباطا "بنيويا"، بحيث إن ما يمثله الأول يحيل ويستدع، في الوقت ذاته، ما يمثله الآخر.أي:إن الذي ينتج عن اقتران الدال بالمدلول يتمثل في " الصيغة وليس في المادة **'(محمود ابراقن:دون سنة،ص.64).**

إذن، فإن كلا من الدال والمدلول مترابطان ومتحدّان ، فبدون الدال لا وجود للمدلول ، والعكس صحيح.

3.3 الطابع الاعتباطي

يؤكد "دي سوسير " أن العلاقة الرابطة بين الدال والمدلول، استنادا إلى ما ذكرناه عن تعريف اللسان وعن سيرورة تشكل العلامة، هي من طبيعة اعتباطية، والاعتباطية في مفهومها الأدنى هي غياب منطق عقلي يبرر الإحالة من دال إلى مدلول، فلا وجود لعناصر داخل الدال تجعلك تنتقل آليا إلى المدلول، فالرابط بين هذين الكيانين يخضع للتواضع والعرف والتعاقد، فاختيار الأصوات لا تفرضه مقتضيات المعنى، فـ فكرة /أخت/ لا تربطها أية علاقة داخلية مع المتوالية الصوتية / أ خ ت / التي تعتبر دالا لها، فبالإمكان التمثيل لها بأية متوالية صوتية أخرى **(F.De.Sausure :1979, p.100).**

فلا شيء يمنع -سوى قوة العرف- من إسناد هذه المتوالية الصوتية إلى هذا التصور الذهني.فليس هناك علاقة طبيعية وجوهرية بين خصوصية الصورة الصوتية والمفهوم، مثال ذلك هو الحقيقة بان هناك كلمات مختلفة في لغات مختلفة لشيء متشابه الكلب هو (dog) في اللغة الانكليزية و(perro) في الاسبانية و(chien) في الفرنسية و(hund) في الألمانية، هذا المفهوم يسود جميع الأفكار حول (بنية) اللغة يجعله من الممكن أن يفصل المعنى والدلالة أو يغير العلاقة بينهما (هذا ما يجعل من الممكن للمعنى الواحد أن يكون مترافقا مع أكثر من دلالة والعكس بالعكس، والذي يجعل الغموض - التعبير الملتبس - وتعددية المعنى ممكنة).

فاللغة هي فقط نوعا واحدا من النظام السيمولوجي (علائقي) (كلمة سيميولوجي تشبه كلمة سيموتيك الآتية من الكلمة اليونانية التي تعني العلامة) أي نظام للعلامات مركب من المعاني والدلالات هو (سيموتيك) أو نظام معاني، فـ"دي سوسير" إذن يصر على أن كل العلامات اعتباطية (عشوائية) **(http://www.taakhinews.org).**

ويناقش "دي سوسير " فيما إذا كانت العلامات كاستخدام الموازين عن فكرة العدالة ، هل هي فطرية أم اعتباطية ، ويقرر بأن هذه أيضا اعتباطية أو مستندة على توافق اجتماعي ، وهو أيضا يعرف (الاونوماتوبيا) (Onomatop – oeia) (وهي تسمية الأشياء بحكاية أصواتها مثل (Pop) (فرقعة) باعتبارها تبقى منسجمة مع التوافقات التقريبية عن الأصوات المنسوبة للحيوانات ، بينما تصيح جميع الديكة بنفس الطريقة ذلك الصوت يترجم بالانجليزية أو (Cock) ، وفي الاسبانية (Cocorico) ، وصيغ التعجب هي أيضا مختلفة في الانكليزية ، عندما يطرق أحدهم أصبع الأخر يقول (Ouch) ، وفي الفرنسية يقول (Aie) ، أي أن "دي سوسير**F.De.Saussure**)" ليس مهتما كثيرا بكيفية اتفاق المجتمعات بتثبيت أو تغيير العلاقات بين المعاني والدلالات، مثل جميع البنيويين فهو ركز على التحليل التزامني للغة كنظام أو كبنية (تركيب) ، يعني ذلك أنه يفحصها فقط في اللحظة الراهنة دون أن يعير اهتماما لتاريخها الماضي أو كيف يكون عليه مستقبلها

(التحليلات التي تأخذ وقتا لتدخل الحساب ويلقي نظرة على تاريخ التغيرات ضمن البنية ويدعوها التواصل الثنائي(**http://www.taakhinews.org**).

وتشير الاعتباطية في مفهومها الأقصى إلى الطابع الثقافي الذي يحكم الظواهر المكونة للتجربة الإنسانية في كليتها، فهي طريقة أخرى للقول إن التسمية والتعيين والتصنيف هي إضافات الثقافة إلى ما منحته الطبيعة للكون الإنساني، من هنا، إذا كانت الطبيعة هي مرادف للمعطى البيولوجي والفزيولوجي الموجود خارج تجربة الإنسان مع الفعل ورد الفعل، فإن الثقافة هي ما يحدد الإضافات التي جاء بها التمدن.

كما أن مبدأ الاعتباطية ليس خاصا بالعلامات اللسانية فحسب، بل هو مبدأ واسع يمكن أن يشمل مجموع الظواهر الاجتماعية، فهذه الظواهر هي أيضا، وكما سبق ذكره من قبل، وليدة تعاقد انبثق عن الممارسة الإنسانية، إن الأمر يتعلق بظواهر ثقافية لا بمعطيات طبيعية، من هنا، فإن ما يصدق على اللسان يصدق على هذه الظواهر أيضا، ويمكن أن يشكل قاعدة لتعريفها وتصنيفها، " فكل وسائل التعبير المتداولة داخل مجتمع ما تستند مبدئيا إلى عادة جماعية أو إلى عرف، فأشكال الآداب مثلا التي تملك نوعا من التعبيرية الطبيعية (مثال الصيني الذي يحيي إمبراطوره بالانحناء تسع مرات) هي في واقع الأمر محكومة بقاعدة، وهذه القاعدة هي التي تفرض استعمالها لا قيمتها الجوهرية" **(F.De.Saussure:1979, p.100)** ، وهكذا إذن حسب رأي "دي سوسير" فإن الظواهر غير اللسانية، مثلها مثل الظواهر اللسانية، هي من طبيعة اعتباطية ويجب بالتالي التعامل معها بنفس القواعد التي تحكم اللسان.

استنادا إلى هذا، "يمكن القول إن السميولوجيا تجد صورتها المثلى في العلامات الاعتباطية". **(F.De.Saussure:1979, p.100)**.

ومع ذلك، فإن هذا الحكم العام ليس قطعيا، ولا يمكن أن يخفي أن الوقائع غير اللسانية ليست بالبساطة التي يتميز بها اللسان، فهي لا تستند إلى نفس مبادئه من أجل إنتاج دلالاتها. والمثال الذي يقدمه سوسير للتدليل على اعتباطية المواد

التعبيرية غير اللسانية (**F.De.Saussure :1979, p.100**)، لا يغطي سوى جزء يسير من " اللغات " التي تشكل موضوعا للتواصل، وهي لغات تتجاوز في وجودها حدود التواصل لتعبر عن نوع من الانتماء الثقافي والاجتماعي والحضاري إلى هذه المجموعة البشرية أو تلك، فهذا التصنيف المتضمن في مثال "دي سوسير"، سيترك جانبا مجموعة من العلامات التي لا يبدو - ظاهريا على الأقل - أنها تخضع لمبدأ الاعتباطية، فالرموز والقرائن والأيقونات علامات لها وضع خاص داخل سجل اللغات الإنسانية، ولا يمكن أن نتعامل معها كما نتعامل مع وحدات اللسان، فهي من جهة ليست اعتباطية بالمفهوم الذي يعطيه "دي سوسير" للاعتباطية، وهي من جهة ثانية، ليست معللة بالمعنى الذي يجعل منها كيانا حاملا لدلالاته خارج سياق الممارسة الإنسانية وسننها المتعددة.

وعليه فإذا كان الدليل، في علم اللسان، اعتباطيا فإن الأمر يختلف، فيما يخص الصور البصرية والصوتية مثال الصور المتحركة، الصور الفوتوغرافية...الخ، بحيث إن علاقتها بالواقع ليست كلها اعتباطية، إنها قد تكون–جزئيا أو كليا–معللة (**محمود إبراقن:دون سنة،ص.68**).

مثال: يمكن أن تكون إشارات قانون المرور إما اعتباطية (الأضواء الثلاثة: الأحمر،الأصفر، والأخضر) أو جزئيا معللة.

مثال:



ممنوع مرور الشاحنات



ممنوع مرور الدراجات

ورغم الانتقادات التي وجهت إلى التصور السوسيري لمفهوم الاعتباطية، فإن قيمته المعرفية ومردوديته التحليلية لا يمكن إنكارهما.

4.3 التسلسل الخطي

إن الخاصية الرابعة للعلامة هي أن المعنى (هنا يعني الكلمة المنطوقة أو المعنى المسموع) موجود في (الزمن) وذلك الزمن يمكن أن يقاس باعتباره مؤلف من خطوط، لا تستطيع أن تقول كلمتين في نفس الوقت عليك أن تقول واحدة وبعدها الأخرى في الشكل التخطيطي (التشابه صحيح للغة المكتوبة عليك أن تكتب كلمة واحدة في وقت معين برغم ذلك تستطيع كتابة أكثر من الكلمة المكتوبة سابقا) وأنت على العموم تكتب الكلمات في خط مستقيم.

هذه الفكرة مهمة لأنها تظهر بأن (اللغة المنطوقة على أية حال) تعامل كتسلسل خطي ، حيث تأتي الكلمات على محور الكلام الخطي واحدة بعد أخرى بجانب بعضها البعض **(http://www.taakhinews.org).**

بمعنى أن لكل لغة طبيعية تتجلى عبر مجموعة من ملفوظات، تتخذ هذه الأخيرة شكل خطي يطلق عليها السلسلة المنطوقة، وتتبين صفة الخطية في الدال حين يمكن تقسيمه إلى أجزاء كل جزء منها يأتي عقب جزء آخر في التتابع الزمني المنتظم فكلمة "كتب" مثلا يمكن تقسيمها إلى أجزاء متتالية على النحو التالي:

ك+فتحة+ت+فتحة+ب+فتحة.

فخطية الدال تعود إلى الطابع النطقي الذي تتميز به اللغة الطبيعية ، فالملفوظات تنجر حتما وفق الزمن وتدرك بالسمع عبر تتابعها، على عكس الوسائل التعبيرية المرئية كالرسم مثلا، فعلى الرغم من أن الفنان يرسم لوحته مراعاي انتظام عناصرها فالمتأمل أو الناظر لتلك اللوحة يدرك الرسالة التي يحتويها الرسم معتبرا إيها كلا لا يتجزأ.

5.3 الطابع المميز

بما أن اللسان نظام من الدلائل المحدودة العدد فإن هذه الدلائل لا تكون إلا وحدات مميزة أو مجزأة : أي يتميز بعضها عن بعض وتكون قابلة للاستبدال.

تكون العلاقة بين حرفي /ق/ و/ع/ في اللغة العربية، علاقة مميزة لأن استبدال حرف /ع/ بحرف /ق/ يؤدي إلى اختلاف في معنى الكلمات.(مثال:قاد/عاد) .

وهكذا، فإن الحروف التي تؤلف الكلمة **(Morphéme)** هي وحدات مميزة لأن كل إبدال في حرف ينجر عنه تغيير جوهري، في هيئة الكلمة مثال: التقابل بين الوحدتين المميزتين/ز/و/ط/، في هيئة الكلمة.(مثال زائر/طائر).

وتكون الكلمات بدورها وحدات مميزة، بحيث إن إبدال كلمة /موقد/ بكلمة /مار/، في جملة: "المار قد انكس" يغير المعنى جذريا**(محمود ابراقن:دون سنة،ص.70)**.

ومن هنا، فإن الدليل المميز هو الدليل الذي لا تكمن قيمته إلا إذا أثبت وجوده، في ذلك اللسان (بتقابله مع بقية الدلائل الأخرى التي تكون بالضرورة مغايرة وتفاضلية).

6.3 التقطيع المزدوج

تعد صفة التقطيع المزدوج التي وضعها "أندري مارتني" الصفة التي تميز الألسن البشرية عن بقية أنظمة الاتصال الأخرى.والتي يقصد بها تجزئة مدرج الكلام إلى قاطع صوتية أو تجزئة مدرج الدلالات إلى وحدات ذات معنى**(محمود ابراقن:دون سنة، ص.71)**.

حيث يكون التقطيع الأول عندما يجزأ الملفوظ اللغوي إلى وحدات دنيا دالة أي إلى "كلمات" تدعى وحدات دالة.

مثال: يتألف الملفوظ اللغوي "الأطفال يلعبون" من الوحدات الدالة الست الآتية:/ال/ طفل/جمع تكسير/ي/لعب/ون/ .بحيث إن كل عنصر من هذه العناصر يمكن أن يستبدل في المحيط نفسه بعناصر دالة أخرى تقع على المحور الاستبدالي، كما يمكن لهذه العناصر أن تقع في محيط مختلف، عندما تقرن بوحدات دالة أخرى على المحور التركيبي.

أما التقطيع الثاني فيتم في تجزئة العنصر الدال بدوره إلى وحدات متعاقبة أصغر ومجردة من المعنى:أي إلى الوحدات المميزة المتجسدة من خلال الوحدات الصوتية الوظائفية (أي الحروف أو الفونيمات).مثال:تتألف كلمة "الأطفال" بدورها من أربع وحدات صوتية وظائفية(أل+أط+فا+ل) حيث يمكن لكل وحدة من هذه الوحدات أن تستبدل بوحدات أخرى، في المحيط نفسه، أو تقرن بوحدات أخرى كي تألف وحدات دالة مختلفة(**محمود ابراقن:دون سنة، ص.71**).

الفصــل الثالــث

ماهية السيميوطيقا

عند تشارلز ساندرس بيرس

1. ثلاثيات بيرس
2. مجالات السيميوطيقا
3. مفهوم العلامة ومكوناتها عند بيرس

تمهيد

إننا نجد مصطلح سيميوطيقا (Sémiotiké) في اللغة اليونانية لم يكن هدفها إلا تصنيف علامات الفكر لتوجيهها في منطق فلسفي شامل:السيميوطيقا القديمة تنتمي إلى جرد مدلولات الفكر.وانطلاقا من هذا تنصهر السيميوطيقا حسب بعض المظاهر مع ما نسميه راهنا بالمنطق الصوري.

ويختفي المصطلح لمدة طويلة ولا نجده إلا في دراسة للفيلسوف الانجليزي **(John Locke) (1632–1704)** تحت اسم **(Sémiotiké)** وبدلالة جد مشابهة لتلك التي قدمتها الفلسفة اليونانية الأفلاطونية.

وفي الفترة التاريخية التي كان يصوغ فيها "سوسير" تصوره الجديد للسانيات ويداعبه حلم في تأسيس علم جديد أطلق عليه السيميولوجيا، كان الفيلسوف الأمريكي شارل ساندرس بيرس **(1839–1914)** ينحت من جهته، انطلاقا من أسس ابستيمولوجية مغايرة، تصورا آخر لهذا العلم سيسميه السيميوطيقا.والسيميوطيقا عنده لا تنفصل من جهة عن المنطق باعتباره علم التفكير الصحيح.ولا تنفصل من جهة ثانية عن الفينومينولوجيا باعتبارها صلبا لتحديد الإدراك وسيروراته ولحظاته**(سعيد بن كراد:2003،ص.58).**

وبهذا فسنحاول في هذا المبحث أن نتعرف على حياة "بيرس Peirce" ومفهوم السيميوطيقا وأهم مجالاتها وعلى مفهوم العلامة ومكوناتها عنده .



(Charles Sanders Peirce1839-1914)

ظهر تشارلس بيرس (1839 ـ 1914) رائد الفكر الفلسفي البرجماتي، وتشارلس ساندرس بيرس أبنٌ لعالم الرياضيات الكبير بنيامين بيرس، وجاء الابن عالماً في الرياضيات، وفيلسوفاً وعالم منطق، وقبل اشتغاله بالفلسفة، اشتغل عشر سنوات داخل معمل الكيمياء.

وقد نذر حياته خلال هذه الفترة لما عرف باسم العلوم المضبوطة، معنى هذا أنه عالم أرّقتهُ أزمة العلم والبحث العلمي، ويجمع المتخصصون على أن تشارلس بيرس هو أعظم الفلاسفة الأمريكيين قاطبة، ويرى البعض أن دراسته تعد منجماً غنياً لا ينفد من الأفكار الخاصة بالمنطق ونظرية المعرفة ومناهج البحث للعلوم وما يعرف باسم السميوطيقا، وأثر أعماله تأثيرا واضحاً في المنطق الرياضي، وله جهود بارزة في مجال نظرية الاحتمالات ومنطق العلاقات. ولذا يعده البعض مؤسس المنطق الحديث (**http://www.lissaniat.net**).

كما لم يكن (تشارل .س.بيرس) مجهولا خلال حياته في فرنسا.فقد شارك باعتباره عالم أرض في الندوة العالمية الأولى لعلماء الأرض التي انعقدت بباريس عام (1876).

1.ثلاثيات بيرس

1.1 المراحل الثلاث للعلامة

يعني مفهوم السيميوطيقا **(Sémiotique)** في اللغة اليونانية "تشخصي" أي "تشخيص الأمراض".وتعني علم يعني بدراسة وتصنيف جميع أنواع العلامات، والإشارات بما فيها العلامات اللغوية.

وقد استعمل مفهوم السيميوطيقا، في العصر الحديث، من قبل الفيلسوف الأمريكي"تشارلز سندرس بيرس **(Charles Sanders Peirce)**" فقد مثل بحق الاتجاه السيميوطقي في الدراسات السيميولوجية الحديثة، وقد تجلى ذلك في كتابه الموسوم بـ"كتابات حول العلامة" والذي ظهر قبل كتاب "دو سوسير" "محاضرات في اللسانيات العامة" الصادر عام (1916).

فلم يكن أحد يعرف عن بحوث "بيرس" السيميوطيقية في فرنسا أو في غيرها من البلدان شيئا، اللهم إلا بعض المحظوظين من أمثال "وليم جيمس" في أمريكا واللادي ويلبي" في إنجلترا،والسبب في ذلك كان بسيطا للغاية، فـ"بيرس" كان مقلا في النشر، وما كان ينشؤه حول العلامات، كان موجها إلى علماء الرياضيات أكثر مما موجها إلى الفلاسفة.

كما يمكننا أن نقسم كتابات "بيرس" حول العلامات إلى ثلاث مراحل **(جيرار دولودال:2004 ص.19):**

1. المرحلة الكانطية (1851–1870): حيث ارتبطت نظرية العلامات بمراجعة للمقولات الكانطية في سياق المنطق الأرسطي الثنائي أو الزوجي بشكل أدق.

2. المرحلة المنطقية (1870–1887): وخلالها اقترح "بيرس"، لكي يعوض المنطق الأرسطي، منطق جديدا هو منطق **العلامات** الذي سيكون الأساس والضامن للتطور الثلاثي عن المقولات والعلامات.

3. المرحلة السيميوطيقية(1887-1914): حيث طور "بيرس" نظريته الجديدة للعلامات بعلاقة مع نظريته الجديدة للمقولات.

فنظرية العلامات التي يسميها بيرس (سيميوطيقا) لا يمكن فصلها عن مجموع فلسفته..إن فلسفة بيرس التي تنطلق من الفلسفة الكانطية هي فلسفة التجربة المتصورة ضمن فكر العلوم الطبيعية، فكر المختبر **(جيرار دولودال: 2004، ص 20).**

2.1 ثلاثية المنطق /الرياضيات /الظاهراتية

إن السيميوطيقا التي هي المنطق مأخوذا في معناه العام هي نظرية العلامات الضرورية تقريبا، أو الشكلية وبوصفها منطقا، فإنها تشكل فرعا من الفرع الثلاثية المكونة للعلوم المعيارية مع علم الأخلاق وعلم الجمال، والمنطق يستعين بعلم الأخلاق"علم الخير والشر" الذي يستعين هو الأخر بعلم الجمال، علم الخير النهائي، إن المنطق وبالتالي السيميوطيقا مثله مثل العلمين المعياريين الآخرين، يتأسس على الظاهراتية التي تتأسس هي الأخرى على الرياضيات **(جيرار دولودال:2004، ص23).**

والسيميوطيقا نظرية شكلية للعلامات "وان كان "بيرس" (Ch. S. Peirce)" في مقول قوله هذا يوازي بين السيميوطيقا والمنطق... وفي هذا الصدد يقول "ليس باستطاعتنا أن ندرس أي شيء في هذا الكون-كالرياضيات والأخلاق والعادات والفلك والجاذبية والكيمياء والكلام إلا على أنها أنظمة سيميوطقية"**(رشيد بن مالك:1995، ص.2).**

وبهذا المعنى يمكن تصنيف الدلالات -التي تشكل غاية من غايات التأويل - إما باعتبارها حصيلة سيرورة قياسية (induction) أو حصيلة لسيرورة استدلالية (déduction) أو هي نتاج سيرورة افتراضية (abduction). فالمؤول النهائي، باعتباره ما يغلق سلسلة التأويلات ويضع لها حدا، لا يمكن أن يخرج عن هذه الحالات الثلاث**(سعيد بن كراد:2003،ص.58).**

ومن جهة ثانية، فإن السميوطيقا مرتبطة ارتباطا وثيقا بعمليات الإدراك التي تقود الكائن البشري إلى الخروج من ذاته لينتشي بها داخل عالم مصنوع من ماديات يجهل عنها كل شيء. وفي هذا المجال يقترح "بيرس" رؤية فينومينولوجية للإدراك ترى في كل الأفعال الصادرة عن الإنسان سيرورة بالغة التركيب والتداخل. فكل ما يفعله الإنسان وكل ما يجربه وكل ما يحيط به يمكن النظر إليه باعتباره تداخلا لمستويات ثلاثة.

وعليه تقوم سيميوطيقا "بيرس" على المنطق والظاهراتية(*) والرياضيات.فالمنطق، بالنسبة إلى "بيرس"، فرع من علم التشكيل العام للدلائل، أو السيميوطيقا.فالمنطق بمعناه الدقيق، هو علم الشروط الضرورية الموصلة إلى الصدق.أما بمعناه العام، فهو علم القوانين الضرورية للفكر،أو بتعبير أفضل، هو علم الفكر الذي تجسده دلائل.إنه السيميوطيقا العامة**(مبارك حنون:1987، ص.76)**.

(*)إن مؤسس الفلسفة الظاهراتية هو ادموندهوسرل، الذي نشرت أهم أعماله في العقد الأخير من القرن التاسع عشر والعقود الأولى من هذا القرن، وقد انصب اهتمام هوسرل على تطوير فلسفة جذرية بالمعنى الحرفي للكلمة. وقد ذهب تحديدا إلى أن المعرفة العلمية أصبحت منفصلة عن خبرة الحياة اليومية ونشاطها. وعلى هذا رأى أن مهمة الفلسفة الظاهراتية هي إعادة تلك الصلة وتهتم الفلسفة الظاهراتية أساسا بدراسة البنى وبعمل الوعي الإنساني، ومسلماتها الرئيسية (إيان كريب: 1999، ص 134)،التي كثيرا ما تكون مضمرة، هي أن العالم الذي نعيش فيه عالم مصنوع في وعينا، أو في رؤسنا، وغني عن القول، إن من السخف نكران وجود العالم الخارجي، لكن الفكرة هي أن العالم الخارجي لا معنى له إلا (إيان كريب: 1999، ص 134)من خلال وعينا به وعالم الاجتماع، أو أي عالم كان، لا يهتم بالعالم إلا من حيث انه عالم له معنى، ولذا يتعين عليه أن يفهم كيف يصنع البشر من عالمهم عالما ذا معنى، وهذا يتحقق بالتخلي عما درجنا على الاقتصاد بمعرفته وبتتبع أصل تلك المعرفة وكيفية وصولنا إليها **(إيان كريب: 1999، ص 135)**.

إن السيميوطيقا، إذن، هي ذلك العلم الذي يميز، داخل الدلائل، الدلائل الصادقة عن الدلائل الكاذبة، أو بعبارة أخرى، السيميوطيقا هي ذلك العلم الذي يفحص الدلائل فيكشف عن الوظيفتين اللتين قد تقوم بهما: وظيفة نقل الدلالة الصادقة ووظيفة نقل الدلالة الكاذبة .وبناءا على ذلك، فالسيميوطيقا تستهدف الكشف عما ينبغي أن يكون ولا تقتصر، فقط، على ما هو كائن في العالم.إنها علم الظواهر الموجودة والظواهر الضرورية، وعلم الفكر النقدي الذي يفتح مجالات أرحب أمام المحتمل والممكن من العوالم(**مبارك حنون:1987، ص.78**).

أما بخصوص الرياضيات، فموضوعها، عند "بيرس" يكمن في صياغة الفرضيات واستنباط النتائج منها.إنها تستدعي الملاحظة بحيث تضع بناءات في الخيال وفق قواعد مجردة وتلاحظ هذه الأشياء الخيالية وتجد علاقات بين أجزائها.وتكتفي الرياضيات أن تفصح عما سيكون صادقا إذا كانت بعض الفرضيات صادقة.أما الظاهراتية فهي الدراسة التي تصف خاصيات الظواهر في مقولاتها الثلاث.

3.1 ثلاثية التمثيل/التواصل/ الدلالة

ويمكن النظر إلى سيميوطيقا "بيرس" باعتبارها سيميوطيقا التمثيل والتواصل والدلالة في آن واحد.وهكذا، فالسفر مثلا، رغم أنه يمثل بلاده، هو سفير بالنسبة إلى نفسه بتاريخه الخاص الذي يميزه عمن كان يشغل نفس المهمة قبله.وعليه،فهذا البعد بعد تمثيلي.أما البعد الثاني البعد الدلالي: فالسفير يقوم بدوره معين في الوقت الذي يقدم فيه أوراق اعتماده.ويحل هذا "الدور" على الدلالة التي هي قاعدة تأويلية في نسق الدلائل المؤولة.والبعد الثالث، بعد تواصلي فالتواصل الذي يشكله تقديم أوراق الاعتماد تواصل قيد الإنتاج.وعليه، فالتواصل فعل فرد فردي ملموس، وحدث تاريخي وحدث في التاريخ. (**مبارك حنون:1987 ، ص.81**).

ومن جهة ثانية، يمكن اعتبار سيميوطيقا "بيرس" اجتماعية جدلية، بحث إن سيميوطقاه تعتمد على علم الاجتماع، فهي، بالتحديد اجتماعية لأنها ليست نفسية.وهي جدلية لأنها ليست نظرية دليل سكوني أو مادي، وإنما هي نظرية

السيميوزس ونظرية سيرورة إنتاج الدلائل، نظرية السيرورة الجدلية.وبذلك، فالشاغل النظري الأساسي يتجلى في العلاقات بين إنتاج المعنى وبناء الواقع واشتغال المجتمع(مبارك حنون:1987، ص.81).

2.مجالات السيميوطيقا

وتشمل السيميوطيقا، حسب علماء المنطق (موريس Morris، كارنابCarnap، وطارستريTarstri) ثلاثة فروع (محمود إبراقن:دون سنة،ص.25):

1.**علم النحو المنطقي** المتمثل في نظرية العلاقات بين الدلائل ووظفته هي البحث فيما يجعل العلامة التي يستخدمها كل فكر علمي، قادرة على تجسيد معنى ما.

2.**علم المعنى المنطقي** الذي تعكسه نظرية العلاقات بين الدلائل وما تعنيه تلك الدلائل.أي المنطق الصرف.

3.**البراغماتية المنطقية** (أو المنفعية المنطقية) المتجسدة في نظرية العلاقات بين الدلائل والأشخاص الذي يستعملونها.

وبنظامية هذا، يكون مجال البحث في السيميوطيقا أوسع مما تتضمنه السيميولوجيا لأنه يمكن أن يشمل اللباس (الموضة)، نظام الغذاء، الأثاث، الهندسة المعمارية اللغات السمعية والبصرية والفنون بصفة عامة.

وفي هذه الحالة لا يمكن لمجال السيميوطيقا أن يقوم على علم أكاديمي واحد مثل علم القانون أو علم الفيزياء أو علم الأحياء...الخ.

إلا أن هذه المجالات حسب اللغويين الأروبيون (كريماس، رولان بارث وكريستيان ماتز) تنتمي كلها إلى السيميولوجيا.

فعند كريماس، يمكن أن تختص مفهوم السيميوطيقا فقط علوم "التعبير"، على أن يشمل مفهوم السيميولوجيا فروع المضمون.

أما "رولان بارث" الذي يرى بأنه من الحكمة تواجد المفهومين فيقترح بأن تتولى **السيميوطيقا** دراسة أنظمة خاصة من الرسائل (سيميوطيقا الصورة الثابتة، سيميوطيقا الصورة السينمائية وسيميوطيقا الإيماءة) على أن تدرج كل هذه السيميوطيقات في إطار **السيميولوجيا(قدور عبد الله ثاني:2004،ص.96).**

ومن وجهة نظر "روجي متشيلي" تختص السيميوطيقا بوصفها المصطلح الأمريكي المقابل للمصطلح الأوروبي سيميولوجيا بدراسة جميع الدلائل غير اللسانية التي توظف داخل الحياة الاجتماعية.

وعلى المستويين الايبستمولوجي والفلسفي، يمكن عد:

السيميوطيقا فرعا بنيويا وعلم المعنى علما تاريخيا، لتبقى السيميولوجيا تدرس العلامات.

3.مفهوم العلامة ومكوناتها عند سندرس بيرس

1.3 مفهوم العلامة

قبل تقديم تعريف العلامة عند "بيرس" لابد، أولا، من تقديم تحليل المقولات العامة التي تقوم عليها العلامة.وفي هذا المضمار يميز "بيرس" ثلاثة عوامل تتميز فيما بينها بواسطة ثلاث نمطيات تلبسها الوجود وهي:

فالعالم يمْثُل أمامنا في مرحلة أولى على شكل أحاسيس ونوعيات مفصولة عن أي سياق زماني أو مكاني، وهذا ما يشكل مقولة الأولانية. وتشير هذه المقولة إلى الإمكان فقط، فلا شيء يوحي بأن معطياتها قد تتحقق في واقعة ما**(سعيد بن كراد:2003،ص ص. 58-59)**.كما يسمى هذا العالم كذلك بعالم الأفكار أو الممكنات.ويشترط في هذه الأفكار أو الممكنات أن تكون مبهمة.

فالسعادة مثلا، قبل أن يكون هناك إنسان سعيد، لم تكن سوى حالة شعورية محتملة. ويمْثُل في مرحلة ثانية باعتباره وجودا فعليا يأخذ على عاتقه تجسيد الأحاسيس والنوعيات في وقائع مخصوصة وهو ما يشكل مقولة الثانيانية أو

ما يسمى بعالم **الموضوعات**، وتشير هذه المقولة إلى التحقق الفعلي، (رجل سعيد مثلا). ثم يمْثُل أمامنا، في مرحلة ثالثة، باعتباره قانونا، أي باعتباره مفاهيم تجرد المعطى من بعده المحسوس لكي تكسوه بغطاء مفهومي، وفي هذه الحالة نكون أمام القانون الذي سيمكننا من التعرف استقبالا على هذه الوقائع، وهو ما يتطابق مع مقولة الثالثانية، وهي التي تجعلنا نؤول سلوكا ما باعتباره دالا على السعادة لا التعاسة. ويصوغ "بيرس" هذه السيرورة على الشكل التالي : أول يحيل على ثان عبر ثالث**(سعيد بن كراد:2003، ص.59).**

وبهذا التصور تتحول السيميوطيقا إلى جهاز عملي غايته القصوى هي البحث عن مختلف الأنظمة الدالة وفي مختلف العلوم سواء كانت إنسانية أو عقلانية، لأن "بيرس" (Ch. S. Pierce) أدرك أن هذه العلوم جميعها هي علوم تقوم على مبدأ **العلامة**.

إن العلامة في تصور "بيرس" هي الوجه الآخر لأواليات الإدراك، لذا لا يمكن تصور السميوطيقا مفصولة عن عملية إدراك الذات وإدراك الآخر، إدراك "الأنا "وإدراك العالم الذي تتحرك داخله هذه " الأنا ". فالتجربة الإنسانية، كما سبقت الإشارة، تشتغل بكافة أبعادها كمهد للعلامات : لحياتها ولنموها ولموتها أيضا. فلا شيء يفلت من سلطان العلامة، ولا شيء يمكن أن يشتغل خارج نسق يحدد له سمكه وطرق إنتاجه لمعانيه، ولا وجود لشيء يحلق حرا طليقا لا تحكمه حدود ولا يحد من نزواته نسق**(سعيد بن كراد:2003،ص.60).**

2.3.مكونات العلامة عند بيرس

فنظام "بيرس" (Ch. S. Pierce) السيميوطيقي هو عبارة عن مثلث (تشكل العلامة فيه الضلع الأول الذي له صلة حقيقية بالموضوع الذي يشكل الضلع الثاني المحدد للمعنى وأن الضلع الثالث أي المعنى هو علامة كذلك تعود على موضوعها الذي أنتج المعنى).

فالعلامة عنده متعددة الأوجه، وإذا تأملنا مفهوم "بيرس" (Ch. S. Pierce") نجده يماثل عبد القادر الجرجاني من حيث قابلية المفسرة لأن تتحول إلى متوالية من العلامات لها فضاء دالي غير محدد، يقول هذا الأخير (المعنى ومعنى المعنى) نعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ الذي نصل إليه بغير واسطة ومعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنا ثم يفضي بك هذا المعنى إل معنى آخر.يفهم من هذا القول أن المعنى (المدلول) قد يتحول إل المبنى (الدال) باحثا ن مدلول آخر أي أن المعنى وبجد ذاته علامة تعود على موضوعها الذي أفرز المعنى.

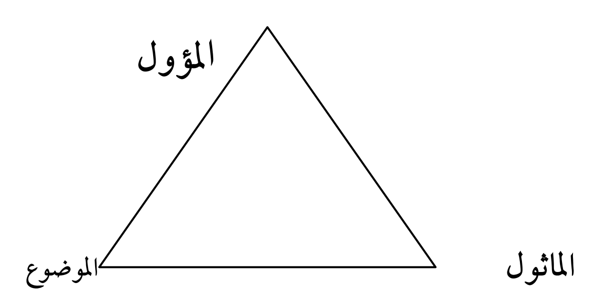
وبالتالي فالعلامة عند "بيرس" (Ch. S. Pierce") تتكون من كيان ثلاثي(بشير تاوريريت:2006،ص ص. 120–121):

الممثل (الماثول) هو صورة صوتية أو مرئية لكلمة ما.

الموضوع وقد يكون واقعي أو قابل للتخيل أو غير قابل للتخيل أي الموضوع الديناميكي،وهو الشيء في العالم الموجودات، وثانيهما هو الموضوع المباشر، وشكل جزءا من أجزاء العلامة، وعنصرا من عناصرها المكونة.

المؤول هو صورة ذهنية مترابطة مع كلمة أو غير مترابطة.

وبهذا فهي تنبني على نظام رياضي منطقي قائم على نظام ثلاثي كما في الشكل الموالي:



فالعلامة إذن هي ماثول (représentamen) يحيل على موضوع (objet) عبر مؤول (interprétant). وهذه الحركة (سلسلة الإحالات) هي ما يشكل في نظرية

بيرس ما يطلق عليه السميوز، أي النشاط الترميزي الذي يقود إلى إنتاج الدلالة وتداولها. وبعبارة أخرى، إن السميوز هي المسوؤلة على إقامة العلاقة السيميوطيقية الرابطة بين الماثول والموضوع عبر فعل التوسط الإلزامي الذي يقوم به المؤول. وعلى هذا الأساس، فإن السميوز تتحدد باعتبارها سيرورة يشتغل من خلالها شيء ما كعلامة، وتستدعي استيعاب الكون من خلال ثلاثة مستويات : ما يحضر في العيان وما يحضر في الأذهان وما يتجلى من خلال اللسان (**سعيد بن كراد:2003،ص.61**).

استنادا إلى هذا وجب النظر إلى العلامة باعتبارها وحدة ثلاثية المبنى غير قابلة للاختزال في عنصرين. فإذا كان "سوسير" يصر على استبعاد المرجع من تعريفه للعلامة ويعتبره معطى غير لساني، فإن "بيرس" ينظر إلى المسألة من زاوية أخرى. فبناء العلامة يرتكز، في تصوره، على فكرة الامتداد التي تجعل من الكون بكل مكوناته وحدة لا تنفصم عراها. فما يؤثث الكون ليس أشياء مادية، بل علامات، ونحن لا نتحاور مع واقع مصنوع من ماديات، بل نتداول هذا الواقع من خلال وجهه السميولوجي، إننا" نحيى داخل كون رمزي، (...) وبقدر ما يزداد النشاط الرمزي يتراجع الواقع "(**سعيد بن كراد:2003، ص.61**).

فالماثول إذن حسب "بيرس " هو شيء يعوض النسبة لشخص ما شيئا ما بأية صفة وبأية طريقة.إنه يخلق عنده علامة موازية أو علامة أكثر تطورا.إن العلامة التي يخلقها أطلق عليها مؤولا للعلامة الأولى، وهذه العلامة تحل محل شيء:موضوعها"(**Ch. S. Pierce : 1978, p.121**) .

وبناء عليه، يشغل الماثول كأداة نستعملها في التمثيل لشيء آخر. إنه لا يقوم إلا بالتمثيل، فهو لايعرفننا على الشيء ولا يزيدنا معرفة به.ذلك أن موضوع العلامة هو ما يجعلها شيئا قابلا للتعرف، وهو، في الوقت نفسه، المعرفة المفترضة من خلال وجود باعث ومتلقي(**Ch. S. Pierce : 1978, p.123**).

ولمزيد من التوضيح يمكننا القول إن الماثول يقوم بنفس الدور الذي يقوم به الدال في التصور السوسيري.

أما عن الموضوع فهو ما يقوم الماثول بتمثيله، سواء كان هذا الشيء الممثل واقعيا، أو متخيلا أو قابلا للتخيل أو لا يمكن تخيله على الإطلاق.ويلخص "بيرس" هذه الملاحظة بقوله " إن موضوع العلامة هو المعرفة التي تفترضها العلامة لكي تأتي بمعلومات إضافية تخص هذا الموضوع" **(Ch. S. Pierce : 1978, p.123)**. ووضح بيرس هذا التعريف بقوله" إذا كان هناك شيء يحدد معلومات دون أن تكون لهذه المعلومات أدنى علاقة بما يعرفه الشخص الذي يستقبلها لحظة بثها (وستكون معلومة غريبة حقا)، فإن الأداة الحاملة لهذه المعلومات لا تسمى-في هذا الكتاب-علامة"**(Ch. S. Pierce : 1978, p.123)**.

وبناءا عليه، فإن الموضوع لا يوجد له مقابل عند "سوسير، وعند الحديث عن موضوع ما داخل إحالات السيميوز لايمكن أن ينفصل عن عملية الاتصال نفسها. فالمرسل والمستقبل يجب أن يمتلكا معرفة سابقة (معرفة مباشرة وهي المعطاة ومعرفة غير مباشرة وهي التي تدرك) عن موضوع ما لكي يكون هناك حوار.

مثال ذلك الجملة التالية:شجرة طويلة.فالموضوع المباشر هو إسناد صفة الطول إلى الشجرة، وهو أمر يدركه كل من له معرفة باللغة العربية، إما أن تكون الشجرة دالة على الخصوبة أو الوطن أو الدن أو أ مضمون أسطوري آخر، فذلك أمر يتطلب معرفة بالثقافة التي تصاغ ضمنها هذه الجملة وهو ما يسميه بالتجربة الضمنية **(سعيد بنكراد:2003،ص.66)**.

في حين يشير المؤول إلى عنصر ثالث داخل نسيج السيميوز، وعمادها وبؤرتها الرئيسة.فلا يمكننا الحديث عن العلامة إلا بوجود المؤول باعتبار العنصر الذي جعل الانتقال من الماثول إلى الموضوع ، فهو الفكرة التي بموجبها يحيل **ماثول** ما على موضوع، أو هو التصور الذهني العام الذي نملكه عن الشيء الموجود في العالم الخارجي**(سعيد بنكراد:2003،ص.67)**.

وهذا ما وضعه "سوسير" فإذا أخذنا على سبيل المثال كلمة "حصان" فإن الدال هو الصورة الصوتية (يعني وجود أصوات ح -ص -ا-ن)، أما المدلول فهو -مفهوم الحصان. والعملية التي يجري إخضاع الدال لها وتتماشى والمدلول تسمى

الدلالة. إذ أن الرابطة ما بين هذا الدال (الماثول) وما يقابله من مدلول (مؤول)، من حيث الجوهر -هي رابطة تواضعية وغير معللة (لأننا لا نستطيع أن نثبت، على سبيل المثال، أن الصورة الصوتية لكلمة "حصان" يحددها جوهر مفهوم "الحصان"). ولكن، مع ذلك فإن المواضعة الساكنة في أساس الدلالة وطيدة وثابتة (لا يوجد أحد من بين أعضاء المجتمع يستطيع أن يغيرها انطلاقاً من رغبته الفردية)، لقد تم "تحييد" هذه المواضعة.

ويتخذ الترابط بين العناصر الثلاثة المشكلة للعلامة الشكل التالي : أداة للتمثيل، تستدعي موضوعا كشيء للتمثيل، وتستدعي مؤولا كرابط بين العنصرين، أي ما يوفر للماثول إمكانية تمثيل الموضوع بشكل تام داخل الواقعة الابلاغية:

مؤول

ماثول ==================== موضوع

الخط المتقطع يشير إلى أن العلاقة بين الماثول والموضع ليست مباشرة بل تمر عبر المؤول.

الفصل الرابع

تصنيـف العلامـات

1.التصنيف التقليدي للعلامات

2.التصنيف الفرنسي للعلامات

3.التصنيف الأمريكي للعلامات

تمهيد

تقسم العلامات، في التصنيف التقليدي، إلى **إرادية ولاإرادية، إلى طبيعية وصناعية،** لكن التقسيم الأكاديمي الفرنسي يميز بين أربعة أنواع القرينة **(Indice)** والإشارة **(Singnal)** والدليل **(Signe)** والرمز **(Symbole)**، وذلك على خلاف العالم الأمريكي "تشارلز بيرس (Charles Peirce)" (1839/ 1914) الذي قسمها، في الثلاثينيات من القرن الماضي، إلي **ثلاث مجموعات الإيقونات** (Icones) **والمؤشرات** (Indexes) والرموز(Symboles) ، وهذا ما سنحاول أن نوضحه في هذا الفصل ..

1. التصنيف التقليدي للعلامات

تقسم العلامات، وفق التصنيف التقليدي إلى مايلي:

1.1 إرادية/لاإرادية

أ.العلامات الإرادية: هي التي تصدر عن الإنسان قصدا وعنوة.

وهي نوعان(**http://www.lissaniat.net**):

- **اتصالية بحتة،** وهي التي يراد منها نقل المعلومات فقط، مثل: إشارات المرور، وإشارات الرتب العسكرية، وأجراس الحريق والكوارث، وأبواق السيارات، وصفارات العسس وحكام الرياضة، وإشارات مقاييس الضغط والحرارة والسرعة، وفي مجال اللغة تتمثل في لغة العلوم والإرشادات والتوجيهات والأخبار والشهادات.
- **اتصالية جمالية**: تستخدم لنقل الأفكار في أشكال جمالية، كالصور الفنية، والتماثيل، والتمثيل الصامت، والمقطوعات الموسيقية، وفي مجال اللغة يدخل فيها الشعر والقصة والمسرحية وغيرها من الفنون اللغوية الجمالية.

ب.العلامات اللاإرادية: وهي التي تصدر عن الإنسان بغير قصده، ولا يتحكم فيها. وهي أنواع منها(**http://www.lissaniat.net**):

- **صوتية**:كالسُعال والبكاء والشخير، والعطاس.
- **حركية**:كجريان الدم في العروق وحركة المعدة والقلب، وحركة كريات الدم وغيرها.

- **شكلية**:كحمرة الخجل، وتجهم الوجه، وأسارير البشر على الوجه، وتغير لون الشعر لتقدم السن.

2.1 العلامات الطبيعية /الصناعية

أ.العلامات الطبيعية: هي الإشارات التي تنتجها الطبيعية، وهي أنواع **(http://www.lissaniat.net):**

- **صوتية**: هزيز الريح وهزيم الرعد وحفيف الشجر وخرير الماء وزقزقة العصافير ونقيق الضفادع ودوي النحل.

- **حركية**: كحركة الأشجار الدالة عل اتجاه الرياح، وحركة الموج الدالة على حالة البحر، وحركة السحاب الدالة على اتجاه الأمطار، وحركة الظل والشمس الدالة على الوقت.

- **شكلية**:كتشكيلات النجوم الدالة على الأنواء والوقت، وأشكال القمر الدالة على التقويم الزمني، وخضرة الأشجار الدالة على الفصول، وألوان الفاكهة الخضار الدالة على النضج.

- **شمية**: كرائحة الزهور والنبات وروائح الحيوانات والحشرات وروائح المخلفات والجيف وغيرها.

- **ذوقية:** كطعوم الموجودات الطبيعية، كطعم الفواكه مثل التفاح والبطيخ؛ وكطعم الحمضيات، مثل الليمون والبرتقال؛ وكطعم الملح الطبيعي والعسل غيره.

* **حسية (لمسية):** كمعرفة الفواكه، وجذوع الشجر، والصخور، والبذور وغير ذلك من الأشياء الطبيعية عن طريق لمسها في الظلام أو في حالة عدم القدرة على الرؤية.

ب. **العلامات الصناعية**: هي التي من صنع الإنسان
:(**http://www.lissaniat.net**)

- **صوتية**: مثل أصوات أجراس الحريق، أجراس الساعات، صفارات العسس والمرور، أبواق السيارات والقطارات.
- **حركية**: مثل حركة عقارب الساعة، وحركات مؤشرات المقاييس والأوزان، وحركة مقياس سرعة الرياح.
- **شكلية**:كالألوان الضوئية التي تصدرها الأجهزة والتي تدل على عملها أو حالاتها، وسرعاتها.
- **شمية**: كروائح العطور، والمبيدات والسموم، والأدخنة الصناعية والغازات.
- **ذوقية**: كطعوم الطعام المطهي والحلوى البوظة، المرطبات الغازية.
- **لمسية**: كمعرفة الأشياء المصنوعة كالأدوات من أقلام ومقصات ومفاتيح وقوارير وغيرها عن طريق اللمس.

2. التصنيف الفرنسي للعلامة

وهي ممثلة بـ"دي سوسير(**F.de Saussure**)" والذي يعتبر أبو السيميولوجيا في هذه المدرسة، والواضع الأول لها.ليعني بالمستوى البراغماتي للسيميولوجيا، أي بفاعلية العلامة وتوظيفيها في الحياة العملية وفي عمليات الاتصال ونقل المعلومات.

كما أن السيميولوجيا ذات أصل سويسري، تعتبر العلامة وحدة ذات طابع ثنائي، إذ تتكون من دال ومدلول تؤطرها علاقة اعتباطية، فلا علة لوجود الدال إلا بمدلوله، والعلامة اللسانية تختلف عن العلامة الطبيعية من حيث كون الأولى تقوم على الاعتباطية.

إن هدف السيميولوجيا الأول هو اكتشاف المدلولات واختراعها.ونحن نرى أنه لا يمكننا إرسال دال بدون أن يكون بواسطة المدلول.

وحسب التصنيف الأكاديمي الذي أقامه "بايلون كريستيان وبول فابر" يمكن دراسة أنواع الدلائل في شكل ثنائيتين رئيسيتين **القرينة والإشارة** من جهة، **والدليل والرمز** من جهة أخرى.

أ.القرينة والإشارة

تعد النية في التبليغ العامل الأساسي في التمييز بين ماهو قرينة وبين ما هو غير قرينة أي الإشارة، فبخلاف الإشارة (الاتصالية)، فإن القرينة هي كل دليل لا يتضمن أي نية في التبليغ(**محمود ابراقن:دون سنة،ص.29**).

- **القرينة**

تتجسد القرينة في أربعة مجالات متميزة:اللغة، البلاغة، القانون، والسيميولوجيا.

- **في اللغة العربية**

يراد بقرينة الكلام ما يصاحب الكلام ويدل على المراد به، وهي التي لا تحدد وظيفة اللفظة وإنما هي مجرد أداة تساهم في إعطاء لفظة من لفظات الجملة مدلولا إضافيا (**محمود إبراقن: دون سنة، ص ص.29-30**)، مثال:أدوات التعريف (الـ:في الطفل) التسويف(س.سوف في سيذهب سوف يذهب) والنفي (لا، في، لا يذهب).

- **في البلاغة العربية (المجاز اللغوي)**

القرينة هي حالة استعارة هي المانعة من إرادة المعنى الحقيقي والتي تساهم في الدلالة عل المعنى المجازي، وقد تكون القرينة لفظية أو حالية(**قدور عبد الله ثاني:2004، ص.92**).

تتجسد القرينة اللفظية، في المثال الآتي:

المثال الأول:

وأقبلَ يمشي في البساط فَما دَرى * إلى البحر يَسْعَى أم إلى البدر يَرتقي

أ- شبه سيف الدولة بالبحر بجامع العطاء، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو البحر للمشبه وهو سيف الدولة، على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة: "فأقبل يمشي في البساط".

ب- شبه سيف الدولة بالبدر بجامع الرفعة، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه وهو البدر للمشبه وهو سيف الدولة، عل سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة "وأقبل يمشي في البساط".

وهكذا نلاحظ أن في كل استعارة ثلاثة عناصر هي:

المستعار منه وهو المشبه به، والمستعار له وهو المشبه، والمستعار وهو اللفظ الذي يؤخذ من المشبه به إلى المشبه.

وتكون القرينة حالية، في الشطر الأول من هذا البيت للبحتري:

هزبر مشى يبغي هزبرا وأغلب * من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا

تتمثل القرينة الحالية، هنا، في الحال المفهومة من سياق الكلام التي تدل على أن المقصود من كلمة " هزبر" الأولى ليس المعنى الحقيقي (الأسد الحقيقي الذي تدل علي كلمة "هزبرا" الثانية) ولكن المعنى المجازي (أي الممدوح الشجاع).

- **في القانون**

القرينة القضائية هي الدلائل غير المباشرة التي يستخلص بواسطتها القاضي الحقيقة القانونية.

- **في السيميولوجيا**

حسب لويس بيرتو هي:"واقعة يمكن إدراكها فورا وتعرفنا على شيء يتعلق بواقعة أخرى غير مذكورة "**(قدور عبد الله ثاني:2004، ص.92)**.نستنتج من هذا التعريف أن القرينة لا تحمل أي نية في التبليغ.

مثال: السماء الغائمة أو السماء العاصفة اللتان تدلان على احتمال سقوط المطر.

وبالتالي يتسم هذا النمط من العلامات بأنه يتوافر على خصيصة التعليل بالمجاورة، وهي نتاج التقطيعات المماثلة نظرا لأن هناك خلاصة لوجود علاقة ربط حيوية بين القرينة وموضوعها من جانب ومن جانب آخر لها علاقة بمداخل الحواس.إنها ضرب من العلامات التي تطرح نفسها على أنها وقائع مرئية تقدم وقائع أخرى غير مرئية تقديما مباشرا، ولهذا فإنها توجه انتباه المرء إلى موضوعها طوعا أو كرها عن طريق استنفار قواه الحسية "**(أحمد يوسف: 2005، ص 90)**.

ب. الإشـــارة

يمكن تقسيم الإشارات إلى نوعين رئيسين:إشارات الدلالة وإشارات الاتصال:

- **إشارات الدلالة**

هي الإشارات التي على الرغم من أنها تحمل رسالة وتدل على شيء إلا أن وظيفتها الأساسية لا تكمن في ذلك، بل في الدور الذي أنشئت من أجله**(محمود إبراقن:دون سنة،ص.32)**.

لنأخذ مثالا من الهندسة المعمارية: إن المسجد قد بني بالدرجة الأولى من أجل إقامة الصلاة.إلا أنه غالبا ما تتجسد، في هندسته المعمارية، البصمات الفنية أو الثقافة أو الحضارية للشخص الذي أشرف على بنائه.



- **إشارات الاتصال**

هي الإشارات التي وضعت أساسا من أجل حمل رسالة أو نقل خبر: كإشارات المرور والدلائل اللغوية (**محمود ابراقن:دون سنة،ص.33**)..

على خلاف القرينة، تتضمن الإشارة الاتصالية النية في التبليغ: إن السماء العاصفة ليس في نيتها الإعلان عن رداءة الطقس ولكن بفضل هذه القرينة يشرع مسؤول الحماية المدنية، على مستوى الشاطئ، بمباشرة تعليق العلم الأحمر.

إن هذا العلم هو إشارة اتصالية وضعت بغرض إعطاء تحذير للمصطافين، نلاحظ بأن هذا العلم هو دليل غير لساني، ومن ثم فهو يندرج ضمن السيميولوجيا.

ب.الرمز والدليل

تكون الإشارة الاتصالية التي نخصها بتسمية الدليل (بخلاف الإشارة الدلالية) إما رمزا أو دليلا (سيميولوجيا أو لغويا) '(**قدور عبد الله ثاني:2004، ص.93**).

- **الرمز**

بخلاف كثير من السيميائيين فرق دو سوسير بين العلامة والرمز فنسب إلى العلامة الصفة الاعتباطية والى الرمز الصفة التعليلية. " **(أحمد يوسف:2005 ، ص 97).**

وبالتالي فالرمز إشارة اتصالية تقوم على ركائز طبيعية.مثل الدخان الذي يعني وجود النار.



ممنوع مرور الشاحنات — ممنوع تخطي الشاحنات — ممنوع تخطى الدراجات

- **الدليـــل**

بخلاف الرمز فهو لا يتمتع بأي علاقة طبيعية مثل: استحمام خطير عند رؤية العلم الأحمر في الشاطئ، حيث نقول عن هذه الإشارة دليل سيميولوجي.أمثلة أخرى للدليل السيميولوجي: لافتة الريح الجانبية، اللافتة التي تدل على وجود أشغال.

3.4 التصنيف الأمريكي للعلامات

كل علامة عند "بيرس Peirce" هي ثلاثية العلاقة ولها ممثل، موضوع، مؤول.ونظريا يوجد 3^3 أي 27 قسما من العلامات الممكنة التي يختصرها مبدأ تراتبية المقولات في عشر، أي**(جيرار دولودال:2004، 117):**

1. قسم العلامات الوصفية مثل الشعور بالاحمرار.
2. قسم العلامات الفردية الأيقونة رسم بياني معطى.
3. قسم العلامات الفردية القرنية مثل صراخ تلقائي.
4. قسم العلامات الفردية الإخبارية مثل دوارة الهواء.
5. قسم العلامات العرفية الأيقونية رسم بياني عام.
6. قسم العلامات العرفية القرنية الفدليلية: اسم إشارة.
7. قسم العلامات العرفية القرنية الإخبارية مثل صراخ في الزقاق.
8. قسم الرموز مثل اسم عام مشترك
9. قسم الرموز الإخبارية تحليل قياسي، علاقة تضمنية
10. قسم البراهين.

ولكن ورغم هذا ميز لنا "بيرس Peirce" مؤسس السيميوطيقا الحديثة عام (1878)، بين ثلاثة أنواع من الدلائل، هي الأيقونة، والمؤشر، والرمز.

أ. الأيقونة Icone

إن هذا النمط من العلامات يكون فضاء أرحب للسيميوطيقات بعامة والسيميوطيقات البصرية التي عبرت عنها الثقافات القديمة، وأخذت صبغة دينية حينما صارت الأيقونة تشير إلى طلاء ديني خالص للكنيسة الارثدكسية في الشرق.لقد اهتم بها علماء الانثروبولوجية الثقافية ووقف عليها الفيلولوجيون وعلماء الآثار، ولكن الحضارة المعاصرة والمجتمعات الحديثة وجدت فيها ضالتها، بل أصبحت لغتها الحية التي تتجاوز في بعض الأحايين معوقات اللسان في تحقيق تواصل أوسع بين البشر.فتكاد تكون الأيقونة الموضوع الذي له حظوة ربما أكثر من غيره من العلامات الأخرى في السيميولوجيا المعاصرة علما بان الموضوعات التي تربط بينهما علاقة المشابهة التي لا يمكن أن نفهمها على النحو الذي تشير إليه كما هو الحال في الخرائط. " **(أحمد يوسف، :2005، ص 93).**

إن الإيقونات ضرب من العلامات التي تتفرد بخصيصة التعليل التي تستند إلى عامل المشابهة الناتجة عن نظام التقطيع غير المتماثل.ومن الأمثلة التي تساق في مجال الإيقونات: الصور الفوتوغرافية والمخططات المعمارية والخرائط الجغرافية والضجيج الاصطناعي في السينما والمسرح والرسوم البيانية والاستعارات.

فالصورة تعد الشكل الأيقوني بمعناه المحدد مستقلا عن بعده المادي، بينما تسعى الرسوم البيانية إلى تمثيل العلاقات القائمة بين الأشياء عن طريق العلامات التي تظهر العلاقات نفسها.وعليه فالإيقونات علامات يتحقق وجودها بالفعل، وتنشأ بينها وبين موضوعها علاقة مشابهة حسية.وهنا يكون بيرس قد تحرر في تصوره الأيقوني من فلسفة التعالي الكانطية، وخرج عن التجريد المنطقي للعلامة **(أحمد يوسف، :2005، ص 93).**

وبهذا ترتكز الدلائل التشابهية أو الأيقونية على مبدأ التشابه بين الدال والمدلول(سواء كان تشابها سمعيا مثل الضجيج أو الضوضاء أم تشابها بصريا مثل الرسم أو الصورة الفوتوغرافية.

وتسمى، في السيميوطيقا، هذه الدرجة في التشابه بين الدال والمدلول، بدرجة الأيقونة. وهي الدرجة التي تسمح لنا بالتعرف، من خلال صورة أو كاريكاتير مثلا، على علاقة معينة يشترك في إدراكها فرد أو عدة أفراد من الجماعة نفسها.

وفي منظور "بيرس Peirce"، تقوم الأيقونة –المتمثلة في الصورة الفوتوغرافية والرسم البياني والاستعارة على علاقة التشابه :"إن الأيقونة علاقة تحيل إلى الشيء الذي تدل عليه بفضل سمات خاصة تمتلكها...، فقد يكون أي شيء أيقونة لشيء آخر، سواء كان الشيء صفة أم كائنا أم قانونا، بمجرد أن يشبه هذا الشيء ويستخدم دليلا له".

مثال:

يعد جسد الممثل وصوته بالنسبة للشخصية التي تقمصها أيقونة، ولكن عندما يكون الممثل الفريد من نوعه لا يمثل إلا نفسه (أي لا يمثل شخصية معينة)تكون هنا بصدد التطابق الأيقوني.

وتكون الاستعارة البلاغية تشبيها أيقونيا، في المثال الذي ضربه "بيرس Pierce" "الفتاة التي لا ترقص في الحفلات هي زهرة حائط حقيقة".تمثل وجه الشبه بين المشبه (الدال أي الفتاة التي لا ترقص في الحفلات) والمشبه به (المدلول:أي زهرة حائط) في السمة الدلالية الآتية: الالتصاق بالحائط).

وهكذا، نجد بأن الأيقونات التي أتى بها تقترب، في جانبها الظاهر، من الأيقونات التي صنفها عالم السيميولوجيا الإيطالي "امبريطو إيكو"، وهي الأيقونات التي تضمن عناصر متناسقة وواضحة المعالم، بغرض خلق وحدات يمكن التعرف عليها بسرعة مثال: الأيقونات الخاصة بمريم العذراء وميلاد المسيح.

وبهذا فالعلامات الأيقونية: هي الإشارات التي تحاكي ما تشير إليه، وأنواعها هي**(http://www.lissaniat.net):**

(أ) **عالية الأيقونية**: كالصور التليفزيونية الحية، والصور الفوتوغرافية، وبعض اللوحات الفنية، والنماذج ومجسمات المباني والمشاريع.



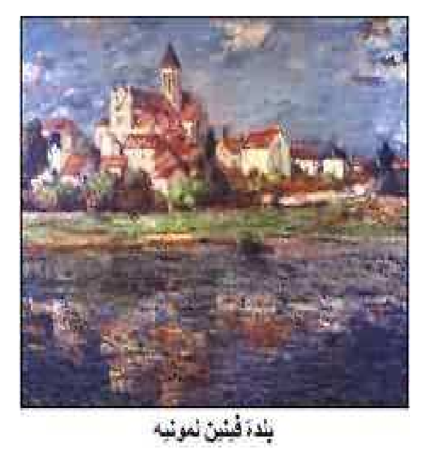
صورة فوتوغرافية للرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة



صورة فوتوغرافية للأهرامات المصرية



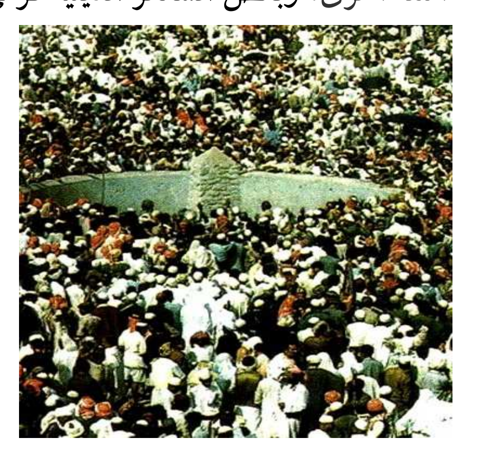
صورة فنية للأمير عبد القادر الجزائري



صورة فنية لبلدة

(ب) **منخفضة الأيقونية**: هي التي تكون المحاكاة فيها ضعيفة كبعض الرقصات الشعبية واللوحات الفنية كالسريالية والتكعيبية والأحلام، وبعض مفردات اللغة التي تحاكي معانيها، مثل أسماء الحيوانات المشتقة من أصواتها: هدهد، بوم، غاق، وبعض الأفعال، نحو: شهق، صرخ، لهث، خبط، ضرب، حكّ، طنّ، حنّ، رنّ.

أمثلة أخرى: وبعض الشعائر الدينية كرمي الجمرات، والسعي.





ب.المؤشـــر Indexe

كثيرا ما تتداخل المؤشرات مع القرائن على الرغم من أن المؤشرات علامات اعتباطية وان القرائن تكون تعليلية إن هي اندمجت في إطار العلامات الطبيعية، حيث هناك علاقة سببية بين الدال والمدلول، ولكن سبب هذا التداخل إلى أنهما يبدوان مترادفين، حيث ينضاف إلى ذلك البعد "التلاصقي" الذي يتباين بين المؤشرات والقرائن. " **(أحمد يوسف: 2005، ص 111-112)**.

وهي العلامة التي تدل على الشيء الذي يشير إليه بفضل وقوع هذا عليها في الواقع مثل الأعراض الطبية التي تشير إلى وجود علة عند المريض.

فهي العلامة التي تشير إلى مدلول لعلاقة تلازمية، مثل الدخان في دلالته على وجود النار، وآثار الأرانب في دلالته على وجود هذه الحيوانات، وآثار المجرم في دلالتها على تورطه في جريمته، الحبوب التي تظهر على الجسم عند المصاب بالحصبة أو الجدري.

وتنقسم المؤشرات إلى قسمين، القسم الأول منها ينتمي إلى فصيلة الموجودات الطبيعية، غير أنه قد يكتسب دلالة إضافية عرفية في حالة ما إذا كان يحمل رسالة تتجاوز العلاقة العلمية التي تربط بين وجوده وبين موضوعه، أما القسم الثاني فينتمي إلى فصيلة العلامات العرفية، أو بالأحرى العلامات اللغوية تنتقل من النظام اللغوي إلى النظام الإيمائي**(http://www.lissaniat.net)**.

وهو الذي يمكن أن يتناسب مع الدلائل الطبيعية والقرينة الفرنسية، ويتجسد المؤشر في كل دليل يستخدم بطريقة إرادية ليوحي بشيء(الإشارة الإيمائية) أو ليشير إليه (الإشارة اللفظية).

يمكن أن ندرج في إطار الإشارة الإيمائية كل الدلائل الطبيعية التي يكون فيها ارتباط الدال بالمدلول سببا (كالدخان، بالنسبة للنار).

أما الإشارة اللفظية فهي التي تتلخص وظيفتها في توجيه المخاطب إلى ما يجب الالتفات إليه ويركز عليه اهتمامه.

ج.الرمـــز Symbole

وهو عند "بيرس" المعادل الحقيقي للعلامة عند "دو سوسير" إذ يرى أن علاقة الرمز بمدلوله هي علاقة اعتباطية عرفية فقط.

فالعلامة التي تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل قانون غالبا ما يعتمد على التداعي بين أفكار عامة ويطلق عليها "بيرس Peirce" اسم العادات والقوانين وهي عنده أكثر العلامات تجريدا وما يلاحظ في هذا المستوى أن العلاقة بين الدال المدلول أو المشار إليه هي علاقة عرضية وغير معللة، مثل البياض والسواد ودلالته على الحزن أو الفرح وهذا من الرموز التي تدرسها الأنثروبولوجيا.

فالعلامة الرمزية هي التي تفيد مدلولها بناء على اصطلاح بين جماعة من الناس ومثال ذلك الحمامة البيضاء التي تحمل غصن الزيتون ترمز للسلام.



وإشارات المرور الضوئية، وعلامة صح √ وعلامة خطأ X وعلامات الموسيقى ومفردات اللغة مثل: شجرة، حصان، كتاب، وأصوات الأبواق والأجراس.

ويمكن عد العرض المسرحي، حسب هذا المنظور، عرضا رمزيا في جملته لأن "العرف وحده هو الذي يجعل الجمهور يتقبل ما يقع على المسرح على أنه يمثل شيئا آخر" **(كير إيلام:1987، ص.94).**

ولذا نجد أن "بيرس Peirce" انصب اهتمامه كله عل ثلاثية الأيقونة، الإشارة، الرمز، ولعلنا لا نستغرب السبب.إذ هذه العلامات الثلاث وقعت تحت معالجة بنيوية محضة، ولذا ارتبطت بالطرح البنيوي مباشرة، فالعلاقة بين الدال المدلول تحت مفهوم العلامة الأيقونة هي علاقة مشابهة، إذ الدال يشبه المدلول ويستطيع المحلل أن يدرك العلاقة مباشرة.

أما مع الإشارة فالعلاقة علاقة سبب ونتيجة، وهي علاقة واقعية فعلية (كما في علاقة الدخان بالنار) وبقي الرمز علامة عشوائية عرفية كماهي حال الدال عند "دو سوسير".

هذه بصفة موجزة، أصناف العلامات في النظام التقليدي، وكما جأت بهما كل من المدرستين الفرنسية والأمريكية،وهي من الصعب أن نحددها بطريقة مطلقة، كما وضح ذلك "بيرس" نفسه، إذ لا وجود لأيقونات أو مؤشرات أو رموز خالصة.

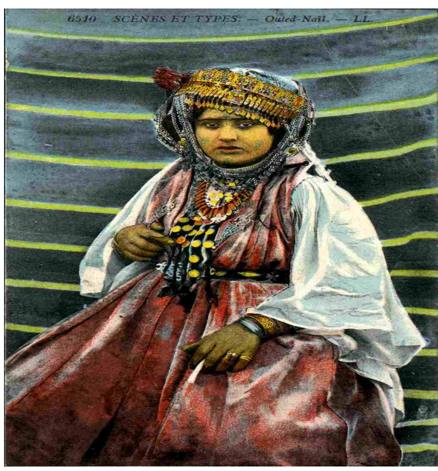
والان سنحاول أن نصف بعض العلامات حسب المدرستين الفرنسية والأمريكية.

1. **أثر السجود** وذلك في قوله تعالى ﴿سيماهم في وجوههم **من أثر السجود**﴾

[. سورة الفتح:الآية،29] .

2. سماع الأذان.

3. اللباس التقليدي





4. **خيوط شبكة العنكبوت** التي كانت على مدخل غار ثور في هجرة النبي عليه ﷺ.





قاعة لتناول الطعام من طراز أرويي



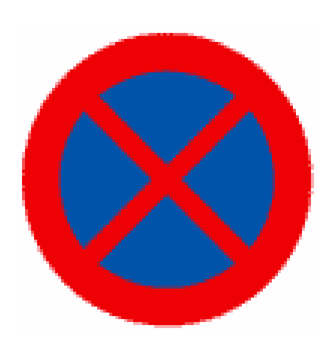
شكل التحية "المصافحة



ملصق إشهاري



مشهد من عرض سينمائي لفيلم آلام المسيح



ممنوع الوقوف قطعيا



صورة كاريكاتورية



العلامة الموجودة في الصحن الهوائي



صورة عن مجزرة قانا 2006

الإجابة

العلامات/ تصنيفاتها	حسب المدرسة الفرنسية	حسب المدرسة الأمريكية
1.أثر السجود	قرينة لأنها لا تحمل أي نية في التبليغ.	مؤشر يدل على كثرة السجود.
2.الحسنة الموجودة في كتف النبي	قرينة لا تحمل أي نية في التبليغ	مؤشر على النبوة
3.اللباس التقليدي والحلي	إشارة دلالية تدل على ثقافة المجتمع لجزائري.	رمز لأنها تدل على رموز ثقافة البلد ولاد نايل البرنوس للمجتمع لصحراوي الجزائري).
4. خيوط شبكة العنكبوت	قرينة لأنها لا تحمل أي نية في التبليغ.	مؤشر هاته الخيوط تدل على وجود عنكبوت وبالتالي النبي وأبو بكر لم يدخلا الغار.
5.قاعة لتناول الطعام	إشارة دلالية تدل على قافة المجتمع الأوروبي.	رمز لأنها تدل على رموز ثقافة البلد الأوروبي.
6.شكل التحية(المصافحة)	دليل لأنها لا ترتكز على دلائل طبيعية فهي من وضع المجتمع حيث يعتبر أهل اليمن هم أول من جاء بالمصافحة.	رمز لأنها من عرف وتقاليد المجتمع. حيث يعتبر أهل اليمن هم أول من جاء بالمصافحة.

7.ملصق إشهاري	رمز لأنه يرتكز على دلائل طبيعية.	أيقونة عالية لأن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة تشابه تام.
8. مشهد من عرض سينمائي.	إشارة دلالية يدل على ثقافة وحضارة المجتمع المسيحي (دلالات الألوان، اللباس...الخ).	رمز يدل على ثقافة وحضارة المجتمع المسيحي (دلالات الألوان واللباس..الخ) .
9.لافتة ممنوع الوقوف قطعيا	دليل لأنها لا ترتكز على دلائل طبيعية.	رمز لأنها من وضع المجتمع.
10.صورة كاريكاتورية	رمز لأنه يرتكز على دلائل طبيعية.	أيقونة منخفضة لأن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة تشابه.
11.العلامة الموجودة على الصحن الهوائي	دليل سيمولوجي لأنها لا ترتكز على دلائل طبيعية.	رمز، لأنها من وضع المجتمع في نظرهم أنها تمنع الحسد.
12.صورة عن مجزرة قانا 2006	إشارة دلالية، لأنها جأت لتؤدي وظيفة ما، وهي الوظيفة الإخبارية.	أيقونة، ذات طابع تاريخي، فهي جأت لتذكرنا ببشاعة المحتل الإسرائيلي.

الخاتمة:

وعلى ضوء ما تقدم عرضه يمكننا أن نستنتج مايلي:

- انطلاقة" دي سوسير (F. de Saussure) " كانت لغوية لسانية " أما بيرس (Ch. Peirce)" فمنهجيته كانت ذات منطلق فلسفي منطقـي رياضي ظاهراتي.
- الموضوع الرئيس للسيميولوجيا عند "دي سوسير" هي **العلامة** اللسانية بالدرجة الأولى، أما السيميوطيقا عند "بيرس" هو السيرورة المؤدية إلى إنتاج الدلالة، أي ما يطلق عليه في الاصطلاح السيميولوجي السميوز (Sémiosis)، والسميوز في التصور الدلالي الغربي هي "الفعل" المؤدي إلى إنتاج الدلالات وتداولها.
- العلامة عند " دي سوسير" ثنائية المبنى تتكون من **دال ومدلول**، أي : تجمع بين الصورة الصوتية والصورة الذهنية ولا تجمع بين الشيء ومسماه ، في حين أنَ العلامة عند "بيرس" ثلاثية المبنى تتكون من **الماثول** و**المؤول** و**الموضوع** وهي مبنية على قاعدة رياضية تقول: إنَ كل نظام لابد أن يكون ثلاثياً.
- أكّدَ " دي سوسير" بشكل كبير على أهمية العلامة داخل نظامها في النص، دون الارتباط بعالم المرجعية خارج النص ، ودرس اللغة من خلال وصفها نظاماً أجزاؤه مرتبطة فيما بينها (تجليات المنهج البنيوي)، في حين أكدَ بيرس"على

أهمية العلامة في علاقتها بعوالم ثلاثة : (عالم الممكنات أو الأحاسيس ـ المقولة الأولانية ، وعالم الموجودات أو الوقائع(الموضوعات) ـ المقولة الثانيانية ، وعالم الواجبات (القوانين) ـ المقولة الثالثانية) ، وقد استمد "بيرس" هذه المقولات من مقولات الظاهراتيـة: فلسفة الكائن ، ومقولة الوجود ، ومحاولة الفكر لتفسير الظواهر.

- العلامة عند "دي سوسير" لغوية – حصراً – وتمتاز بكونها اعتباطية(غياب المنطق العقلي) في علاقة دالها بمدلولها، بينما نجد العلامة عند "بيرس" هي لغوية وغير لغوية.
- تتحدد العلامة عند "دي سوسير" بعلاقة الدال والمدلول، وتتحدد العلامة عند "بيرس" بعلاقة الماثول والموضوع اللذين يتوسطهما المؤول.
- العلامة عند " دي سوسير" هي أساس السيميولوجيا (Sémiologie) ، وتعدّ جزءاً من علم النفس بينما عند "بيرس" هي أساس السيميوطيقا (Sémiotic) ، وتعد جزءاً من علم المنطق.
- تشكل اللسانيات جزءاً من السيميولوجيا عند " دي سوسير" لأن اللغة فعل سيميولوجي، بينما تشكل المقولات الفلسفية عن الوجود والعالم صورة التحليل السيميوطيقي عند "بيرس".

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1. القرآن الكريم **(1984):** برواية حفص عن عاصم، الطبعة الثالثة، دمشق، بيروت، دار ابن كثير.

ثانيا:المراجـــع

- **المراجع العربية**

1. إبراقن محمود (دون سنة): **المدخل إلى سيميولوجيا الاتصال**، قاموس اللسانيات سيميولوجيا الاتصال.

2. أحمد يوسف، (2005): **السيميائيات الواصفة المنطق السيميائي وجبر العلامات،** الجزائر، منشورات الاختلاف، بيروت، المركز الثقافي العربي المغرب، الدار العربية للعلوم.

3. آريفيه ميشال وآخرون(2002): **السميائية أصولها وقواعدها**، ترجمة بن مالك رشيد ، الجزائر، منشورات الاختلاف.

4. الجرجاني علي بن محمد(1991):**التعريفات**، القاهرة، دار الكتاب المصري.

5. الرويلي واليازعي سعد (دون سنة): **دليل الناقد الأدبي**، الطبعة الثالثة، بيروت، المركز الثقافي العربي.

6. السرغيني محمد(1987): **محاضرات في السيميولوجيا**، الدار البيضاء، دار الثقافة.

7. السواح فراس (1996): **المعنى والأسطورة**، دمشق، دار علاء الدين.

8. العسكري ابن هلال (1963): **الفروق في اللغة**، الطبعة الرابعة، بيروت، دار الأفاق الجديدة.

9. أنور المرتجي (1987): **سيميائية النص الأدبي**، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق.

10. إيلام كير(1987):**سيميوطيقا المسرح**: العلامات في المسرح، ترجمة سيزا قاسم، مدخل إلى سيميوطيقا، الجزء الثاني،الدار البيضاء، منشورات عيسون.

11. أينو آن (2004): **تاريخ السيميائية**، ترجمة رشيد بن مالك، مراجعة عبد القادر بوزيدة، عبد الحميد بورايو، الجزائر، منشورات مخبر الترجمة والمصطلح، ودار الوفاق.

12. بركات أحمد علي (دون سنة): **المنجد في اللغة والإعلام**، بيروت،دار المشرق.

13. بلمليح إدريس (1984) : **الرؤية البيانية عند الجاحظ** ،الدار البيضاء ، دار الثقافة.

14. بن كراد سعيد (2003): **السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها**، المغرب، الدار البيضاء.

15. بوي مالكولم (1996): **البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا**، تحرير ، ترجمة محمد عصفور، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

16. تاوريريت بشير (2006): **محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر**، الجزائر، قسنطينة، دار لفجر للطباعة والنشر.

17. توسان برنار (2000): **ماهي السيميولوجيا**، ترجمة محمد نظيف، الطبعة الثانية، المغرب، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، إفريقيا الشرق.
18. جيران عبد الرحيم (1988) : **مفهوم السيمائيات**، الحوار الأكاديمي الجامعي.

19. حنون مبارك (1987): **دروس في السيميائيات**، المغرب، دار توبقال للنشر.

20. حنون مبارك (1988): (**السيميائيات بين التوحد والتعدد**)، الحوار الأكاديمي والجامعي، العدد2.

21. خلف كامل عصام (2003): الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، القاهرة، دار فرحة للنشر والتوزيع.
22. دولودال جيرار(2004): **السيميائيات أو نظرية العلامات**، ترجمة عبد الراحمان بوعلي، ، سوريا، دار الحوار.

23. سبييرير دان(1996): **البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا**، تحرير ، ترجمة محمد عصفور، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

24. ستروك جون (1996): **البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا**، تحرير ، ترجمة محمد عصفور، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

25. طالب الإبراهيمي خولة (2000): مبادئ في اللسانيات، الجزائر، دار القصبة.

26. عبد الله ثاني قدور (2004): **سيميائية الصورة** (مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم)، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع.

27. غيرو بيير(1984) :**السيمياء**، ترجمة: أنطوان أبي زيد، بيروت، لبنان، منشورات عويدات.

28. فاخوري عادل (1985):**علم الدلالة عند العرب**، بيروت، دار الطليعة.

29. كريب إيان(1999) : **النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس**، ترجمة حسين غلوم ، مراجعة محمد عصفور، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

30. كلر جوناثان(1996): **البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا**، تحرير ، ترجمة محمد عصفور، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

31. كندرارتوف(1972):**الأصوات والإشارات**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

32. مؤمن أحمد (دون سنة): **اللسانيات النشأة والتطور**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

33. مارسيليو داسكال(1987): **الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة**، ترجمة الحمداني وآخرون، المغرب، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق.

34. مرتاض عبد الجليل (2005): **مفاهيم لسانية دي سوسيرية** ، وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع.

35. مرسلي دليلة وآخرون (1995): **مدخل إلى السيميولوجيا** (نص-صورة)، ترجمة عبد الحميد بوهاتو، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

36. مهدي هلال ماهر (1980): **الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب**، بغداد، دار الحرية.

37. نعمان بوقرة(2006): **محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة**، عنابة، منشورات جامعة باجي مختار.

38. نور الهدى لوشن(دون سنة): **مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، مصر، المكتبة الجامعية، الإسكندرية.

39. هال جون ، وبويلوور ليام وآخرون:1986، مقالات ضد البنيوية، ترجمة إبراهيم خليل، عمان الأردن، دار الكرمل.

40. هوكز ترنس (1996): **البنيوية وعلم الإشارة**، بغداد ، العراق ترجمة مجيد الماشطة.

41. وايت هيدن (1996): **البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا**، تحرير ، ترجمة محمد عصفور، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

- **الكتب باللغة الأجنبية**

1. Manchester University Press Manchester.
2. E Sapir(1970) : Le langage , éd Payot.
3. Ernst Cassirer (1972) : La philosiphie des formes symboliques, Le langage, éd Minuit.
4. George Mounin : Clefs pour la Linguistique, 19 éditions , Paris , Collection Clefs.
5. J.C.Coquet et autres (1982) : Sémiotique ; l'école de Paris ,Hachette.
6. Oswald Ducrot/Tzvetan Todorov (1972):Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. Edition du Seuil.
7. Pierce Ch. S. (1978) : Ecrits sur Le Signe, éd. Le Seuil.
8. Saussure F. (1979) : Cours de linguistique générale , éd Payothèque.
9. Umberto Eco(1984) : Le Signe ;éd Labor .
10. Y. Winkin (2001) : Anthropologie de la communication. De la théorie au terrain, éd. Le Seuil.

ثالثا: المجلات

1. لعياضي نصر الدين **(1998): البنيوية**، الاتصال، الفضاء الثقافي العربي، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد17.

2. بن مالك رشيد **(1995):البحث السيميائي المعاصر**، مجلة السيميائية والنص الأدبي، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها جامعة عنابة 15/ 17 ماي.

3. الحاج صالح عبد الرحمان (1972): **مدخل إلى علم اللسان الحديث**، اللسانيات، مجلة يصدرها معهد العلوم اللسانية والصوتية لجامعة الجزائر، ، المجلد الثاني، العدد الأول.

4. علي زغينة(2002): **محاضرات الملتقى الوطني الثاني السيمياء**، والنص الأدبي، منشورات جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.
5. سلاطنية بلقاسم (2001):مجلة العلوم الإنسانية، العدد الثاني، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

رابعا:المواقع الالكترونية

1. http://www.arabicnadwah.com/articles/madkhal-hamadaoui.htm.
2. http://www.lissaniat.net/viewtopic.php?p=1958&sid
3. http://www.merbad.net/vb/showthread.php?t=1170.
4. http://www.megaclick.com.
5. http://www.aljahidhiya.asso.dz/Revues/tebyin_20/Elalama_fiellisaniyate.htm.
6. http://www.marocsite.com/ar/modules/news/article.php?storyid=23
7. http://www.saidbengrad.com/ouv/sca/sca3.htm.
8. http://www.al-jazirah.com.sa/culture/18092006/fadaat14.htm.
9. http://www.taakhinews.org/tasearch/wmprint.php?ArtID=6328.

الفهـرس

